

المصباح

مجلة

المجلد الثالث عشر
الجزء الخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



تابعوا ...

WWW.ALUKAH.NET

(المجلد الثالث عشر)

٣٢١

(الجزء الخامس)

بوتقي الحكمة من يشاهون يؤت الحكمة فقد أوتي
غيا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسائل

في شهر جمادى الأولى يستعملون القول فينبون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الثلاثاء سلخ جمادى الأولى ١٣٢٨ - ٧ يونيو (حزيران) ١٢٨٦ ١٩١٥ م)

فتاوى المسائل

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طاعة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا و ربما قد متاخرنا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لكل هذا، ولين مفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا من صحيح لافضاله

﴿ الاكراه على الاسلام بالسيف ﴾

(ص ٢٧) من ص ٤٠ . التلميد في مدونة الحقوق بالأسنة

الى فيلسوف الاسلام وخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة المنار الاخر متعني الله بطول بقائه أمين

وأنا في الجريدة التي يصدرها مجد عيد الله مبعوث آبدن في الأسنة مسألة

(المنار ج ٥ م ١٣) الاكراه على الاسلام بالسيف ٣٣٩

عجبتنا من صدورها من مسلم وازدادت عجبتنا ضعفين اذ سمعنا ان كاتبها صاحب تلك الجريدة يعد من علماء الترك، ثم ازدادت عجبتنا اضعافا مضاعفة اذ بلغنا ان تلك الجريدة تصدر بمساعدة الحكومة ونفقها وهي هي الحكومة الدستورية المؤقتة من هيتين احدهما تسمى التشريعية وأخرى تسمى التنفيذية وكل منهما مؤلفة من المسلمين وغير المسلمين

تلك المسألة هي التي جعلها أعداء الاسلام أشد مطعن فيه وهي ادعاء ان الاسلام قام بالاكراه والاجبار لا بالدعوة والحجة وانه يجب على المسلمين الآن أن يكرهوا الناس على الاسلام بقوة السيف فقد قال في العدد الحادي عشر من تلك الجريدة المسماة باسم (العرب) مانصه :

« إن أكبر مرشد في الاسلام هو النبي عليه الصلاة والسلام كان يحمل كتاب الله في يده والسيف في اليد الأخرى فكان اذا رأى من لا يقبل الحق الذي يدعوه اليه في الكتاب أرغمه بالسيف (!!!) فاتم يامشرك المرشدين المكلفين بوظيفة الارشاد « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

« ثم ان الخلفاء الراشدين والامراء المرشدين الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد اقتفوا كلهم هذا الأثر الجليل « اه بحروفه الا كلمة اسوة في الآية الكريمة فكان مكانها في تلك الجريدة كلمة «قدوة» وهي بمعناها ولكن لا يجوز نقل القرآن بالمعنى وما أظن ان صاحب الجريدة تعتمد ذلك وان كان يوجب ترجمة القرآن لانه لا يخفى عليه ان تعتمد تغيير ألفاظ القرآن بمعناها في العربية كفر وردة مقررة عن الاسلام

فاقول المنار في هذه الدعوى؟: أحتق ما يقول محمد عبيد الله أفندي وبعض الطاعنين في الاسلام من الافرنج في هذه المسألة أم هو باطل؟ إن قلم بالاول فهل تقولون ايضا بما فرعه عليه محمد عبيد الله أفندي من وجوب قيام خليفة المسلمين وجميع أمرائهم ومرشديهم باكراه غير المسلمين بقوة السيف (وما في معناه من المدافع والبنادق) على قبول القرآن واتباعه أم لا؟ ان قلم نعم فلماذا يترك الخليفة وغيره من الامراء والمرشدين حكم دينهم والتأسي بغيرهم صلى الله عليه وسلم؟ وهل يجب على

٣٤٥ الاكراه على الاسلام بالسيف (الملتزم ٥ م ١٣)

مجلس المبعوثين في الدولة العلية ان يلزم الخليفة بذلك ام لا ؟ واذا كان يجب ذلك على المجلس وتركه فهل يكون أعضاء المجلس من المسلمين فاسقين بترك هذه الفريضة ام ماذا يكون حكمهم ؟ وان قلتم لا يجب ذلك فكيف تقولون بالاصل دون التفريع عليه ؟ اقتونا وعلّمونا مما علمكم الله

(ج) الحمد للمهم الصواب وقول وبالله التوفيق : ان تلك الدعوى التي ادعاها صاحب تلك الجريدة باطلة بأصولها وفروعها ولا يقول بها من يعرف حقيقة الاسلام الا اذا تعدد الكذب والبهتان بقصد إيقاع الفتن بين المسلمين وغير المسلمين وإلجاء دول أوربا الى الاتفاق على الإيقاع بالدولة العلية ولا يعقل ان يأتي هذا من رجل عاقل له صفة رسمية في هذه الدولة ، فنحن لا نبحث في قصد كاتب تلك الجمل التي قلها السائل ولا في درجة علمه ولا في التأثير السيء الذي يخشى أن يثيره صدورها من مثله ، ولا في صحة ماشاع من اعانة الحكومة على نشر جريدته وانما نخص كلامنا فيما هو اللائق باب الفتوى من بيان الحقيقة فنقول

بيننا الحق في هذه المسألة في مواضع متعددة من المنار والتفسير خاصة ولا سيما تفسير آيات القتال في سورة البقرة وكذا تفسير دلالات إكراه في الدين ، منها مراجع تفسير (٢: ١٩٥) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، الآيات من (ص ٢٠٣ الى ٢١٢) من جزء التفسير الثاني ، وتفسير (٢: ٢٥٦) لا إكراه في الدين من (ص ٣٥-٤٠) من جزء التفسير الثالث . ولا يذهب ظنك الى ان حكما على من يذهب الى هذا الرأي بالجهل أو سوء القصد حكم بدا لنا الآن نريد ان نلصقه بهذا الرصيف الجديد ، كلا ان هذا هو رأينا منذ سنين طويلة فراجع ان شئت (ص ٢٠٥ ج ٢ تفسير) نجد فيها ان المسلمين لم يكونوا في قتالهم في زمن النبي (ص) الامدافعين وانا قلنا بهذا البيان مانصه « وهل يصح ان يقال فيهم أنهم اقاموا دينهم بالسيف والقوة ، دون الارشاد والدعوة ؟ كلا لا يقول ذلك الا غرّ جاهل ، أو عدوّ متجاهل ، ولا نفس ما قلناه بعد ذلك عن الاستاذ الامام في (ص ٢١٠ و ٢١١) من هذا الجزء وكذا في (ص ٣٩) من الجزء الثالث من التفسير ومنه قوله في آخره « ولا التفت للمبهدى به العوام ، ومعلوم الطنظام ، اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وان الجهاد مطلوب لذاته فآمرآن في جلته وتنصليه

(المخرج ١٣ م ١٣) الاكراه على الاسلام بالسيف ٣٤١

حجة عليهم ، واذا واجعت الجزء الرابع من التفسير تجد فيه بيانا لهذه المسألة أيضا والاصل في هذه المسألة قوله تعالى (٢: ٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وهي مدنية وقوله تعالى (١٠: ٩٩) ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين) ومثل قوله تعالى (٨٨ : ٢١) فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) وقوله عز وجل (٥٠: ٥٠) وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وكذلك تقييد آيات القتال بجملته دفاعا والنهي عن الاعتداء فيه كآية (١٩٠) من سورة البقرة التي ذكرنا معظمها آفاً والراجع في علم الاصول ان المطلق يحمل عليه التقييد وعليه الشافعية .

والسنة الضمنية تؤيد هذه النصوص الواضحة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن احدا من المسالمين له بحرب ابدا وانما كانت غزواته كلها دفاعا فكان المشركون قبل فتح مكة حربا له وللمؤمنين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وكانوا يجهزون الجيوش فيسوقونها اليهم في دار الهجرة ليستأصلوهم كما فعلوا في بدر وأحد والخندق فهم معهم في حرب دائمة يصيب منهم ويصيرون منه فلما رضوا منه بالصلح عشر سنين فرح بذلك ورضي منهم بأشد الشرائط وأقلها على المؤمنين وهو في قوة ومنعة منهم قادر على الحرب وسبق له الظفر فيها ، ثم كان المشركون هم الذين تقضوا الميثاق وقد بلغ من تهرير الاسلام للسلام ان شدد في المحافظة على عهده الى درجة ليس وراءها غاية وهي ان المشركين الذين عاهدوا المسلمين المهاجرين اذا وقع قتال بينهم وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وطاب هوؤلاء المسلمون من اخوانهم المهاجرين ان يعينوهم على المشركين المعاهدين لهم فانه يحرم تقض عهدهم بمساعدة المسلمين عليهم قال تعالى (٨: ٧٢) والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتي يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) كنت أظن ان محمد عبيد الله افندي من أوسع علماء الترك اطلاعا على السيرة النبوية الشريفة لأنه من أعلمهم باللغة العربية نفسها لاقامته الطويلة في البلاد العربية فكيف راجت عليه هذه الدسيسة الاوربية والاهام المامية؟ لياتنا بحديث واحد في اثبات دعواه ان النبي (ص) كان يأخذ القرآن في يده والسيف في أخرى ويعرض القرآن

على من يلقاه فان آمن والا أمي بالسيف على هامته ففتها. مارأينا حديثا في ذلك صحيحا ولا حسنا ولا ضميما بل لم نر ذلك في الموضوعات التي كذبوها عليه صلوات الله وسلامه عليه!! هل يمكن ان يقول مثل عبيد الله افندي انه استنبط ذلك من حرب الصحابة اذ كانوا يرضون على من يتصدون لحربهم الاسلام فان لم يجيئوا فالجزية فان لم يقبلوا كان السيف حكما بينهم وبينهم؟! ما أراه يجرأ على القول بأن هذا يؤيد قوله ذلك وان سلمنا له انه من السنة المتبعة . إن اتباعهم لهذه الطريقة إنما كان بعد تقرير الحرب والتصدي لها وانما كان سبب الحرب بين الخلفاء الراشدين وبين الروم والفرس اعتداء الروم والفرس لا اعتداء الصحابة العاملين بقوله تعالى « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » والذين صاروا بمقتضى هذه الآية وأمثالها يكرهون القتال وان فرض عليهم لضرورة المدافعة عن انفسهم ودينهم وتأمين دعوته كما شهد الله لهم بذلك في قوله (١٥٥:٢) كتب عليكم القتال وهو كره لكم)

ذلك بأن الروم والفرس كاتنا أمي حرب وقد ضربتا بما جاورهما من جزيرة العرب فأظلت سلطة كل منهما بعض العرب المجاورين لها لذلك وللمصيبة الدينية ساءها دخول أثر العرب في الاسلام وتجدد دولة لهم تابعة لدين ميين فكان كل منهما يهدد دعوة الاسلام في جواره ويعتدي على المسلمين فلم يكن للمسلمين بد من محاربتهم . ولما كان المسلمون يجوزون قبل الشروع في كل قتال أن يتم بأحد السبيين : إسلام المحاربين لهم أو الخضوع لهم بدفع شيء من المال لا يتقل دفعه الا على من وثق بقوته على الحرب ، لمنع دعوة الاسلام الجديدة من الانتشار في الارض ، فكانوا يرضون أحد هذين الأمرين والحرب مقررة قبل ذلك بما سبق من الاعتداء ، ولم يكن عرضها هو السنة المتبعة في الهداية والارشاد ، فان النبي (ص) دعا كسرى وقيصر وغيرهما الى الاسلام ولم يهددهما بالسيف وانما دعاهما بالحكمة والموعظة الحسنة اتباعا لما أمره الله تعالى به في قوله (١٦: ١٢٥) ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

لو ذكر محمد عبيد الله افندي عبارته تلك في سياق الكلام عن الجهاد واحكامه

ثيسر لنا ان نتحمل لها تأويلا ولكنه ذكروها في سياق الارشاد وذكر العلماء المرشدين في صحيفة قال إنه أنشأها لارشاد العرب وحشم على إرشاد العالم فما هي المناسبة لذكر السيف والارغام على قبول الحق وإنما موضع الحق القلوب وهي لا يصل اليها السيف بل السيف وذكر السيف بما يزيد بها نفورا ، ويجعل بينها وبين الحق حجرا محجورا ، ليست هذه المسألة هي التي شذت فيها وحدها هذا الرجل فان له شذوذا في مسائل أخرى دينية وتاريخية كادعائه أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم مآمت ولا تم الا بترجمة القرآن الى جميع اللغات ، وكادعائه ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستفتاء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى آية للعالمين معجزا للبشر على ممر السنين ، بترجمته الى انتركية والفارسية وغيرها من اللغات وان كان المترجم يترجم بحسب فهمه فيختلف مع غيره فيكون لكل أهل لغة قرآن ، وان كانت الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله ولا يصح التعبد بتلاوتها ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن ١١١١ . وقد سبق لي مناظرة معه في هذه المسألة بمصر منذ سنين ، وكانكاره أن للبشر أرواحا مستقلة هي غير الجسم المحسوس وأعراضه وقد ناظرته في ذلك بدار الشريف علي حيدر بك ناظر الاوقاف ، وكادعائه ان جميع العرب مسلمون وإنكاره ان يكون في النصراني عربي واستدلاله على ذلك بعبادتهم لرجل يهودي او قال امراثيلي (يعني السيد المسيح روح الله ورسوله عليه الصلاة والسلام) فلا عجب ان يشذ في مسألة السؤال ولكن العجب من جرأته على نشرها في صحيفة تنشر في عاصمة المملكة حيث المحكمة العرفية العسكرية المراقبة لكل ما يحدث التنافر بين العناصر العثمانية المختلفة في اللغات والاديان والسياسة اسرار ولا بحث لنا فيها الآن ١١ مما يقوي فراستنا في سريان هذه المسألة الى قائلها من بعض الكتب الاوردية الطاعنة في الاسلام أنها تكاد تكون ترجمة لعبارة قالها بعض أولئك الطاعنين في مؤلف له و اشار الأستاذ الامام الي اورد عليها في رسالة التوحيد فانه بعد ان قور قيام الاسلام بالدعوة والحجة ، واتشاره السريع بموافقته للفترة ، قال رحمه الله تعالى في الرد على قائل تلك العبارة وامثاله مانصه :

« قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يرد ان يفهمه : ان الاسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن بأحدى اليدين والسيف بالآخرى يرضون القرآن على المطلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانك هذا بهتان عظيم ، ما قدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ما تواترت به الاخبار فتواترا صحيحا لا يقبل الريبة في جلته ، وان وقع اختلاف في تفصيله ، وانما اشهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن أنفسهم ، وكفالدعدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا انهم جاؤروهم وأجاروهم فكان الجوار طريق العلم بالاسلام وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه » لو كان السيف ينشر ديننا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها وابتداء ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة اجيال أو يزيد قتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن . هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون ما يشاؤون تحت حمايته مع غيرة تقيض من الاثنية وفصاحة تدفق عن الالسنه ، وأموال تخلب ألباب المستضعفين ، ان في ذلك لايات للمستيقنين . جلت حكمة الله في أمر هذا الدين : سلسيل حياة نيم في القنار العربية ، ابعث بلاد الله عن المدنية ، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحيها حياة شعبية هدية ، علا مده حتى استغرق ممالك كانت تافخراً أهل السماء في رفسها ، وتلو أهل الارض بمدنيتها ، زلزل هديره على لينة - ما كان استحجر من الارواح فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها . قالوا كان لا يخلو من غلب « بالتحريك » قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال المصارعة بين الحق والباطل والرشد والنهي قائمة في هذا العالم الى ان يقضي الله قضاءه فيه ، اذا ساق الله ريبا الى ارض جدبة ليحيي ميتها ، وينقم غلتها ، وينهي الحصب فيها ، أفينقص من قدره أن آتي في طريقه على عقبه فملاها ، أو بيت رقيم المماد فهوى به ؟

﴿ حديث منع الدين بنصاري من ربيعة ﴾

(م ٢٨) من الشيخ محمد بن سالم الكلاي بسنن افوره

سيدي الاستاذ المحدث السيد محمد رشيد رضا المحترم متم الله المسلمين بحياته بعد السلام : قد اشكل على العبد الفقير ماجاء في الصفحة ال ٣٣٣ من الجزء الخامس من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبدالله بن عمر القرشي حديث : ان الله يمتنع (كذا) هذا الدين بنصاري من ربيعة . انتهى فا هو صواب عبارة هذا المتن ثم ما معناه وهل هو صحيح ام لا ؟ أفيدونا لازلتم مصدرا للاقتدات في المشكلات والسلام (ج) صواب متن الحديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصاري من ربيعة » فالتحريف من الطبع فيما يظهر والنسخة المطبوعة عندي بمصر ولا أعلم انها توجد هنا (في الاستانة) ومعنى المنع الحماية ومنه منع الانصار النبي (ص) مما يمنعون منه نساءهم وأهلهم في حديث الهجرة أي حمايته . وهو يحمل على من أسلم منهم . وأما سنده فقد رواه عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص واخرجه عنه النسائي ورجالهم في تهذيب التهذيب لديكم فراجعوا تراجمهم فيه وفي غيره مما لديكم ومأراه يصح عنه ولكن ليس لدي الآن وأنا في السفر ما أراجع فيه ولا الحديث من المشهورات فيحفظ ولا هو مما يتعلق به عمل فيضرتأخير البيان فيه

باب المقالات

قوة الاجتماع والتعاون (*)

الاجتماع والتعاون قوة لا تغلب الا بقوة مثلها ، قوة بها ترقى ام وتعتز ، وبها يسود قوم على قوم ، وبها تنمي الثروة ، وبها يتغير شكل الحكومة والدولة ، وبها كان كل شيء ويكون كل شيء ،
عشرة مجتمعون متعاونون ، يغلبون المئين والالوف من المتفرقين المتخاذلين ،
اذا ألفوا شركة مالية قطعت اسباب الكسب على اضعاف اضعافهم في المدد من
التجار ، واذا كوّنوا عصبة للبغي والمدوان سلبوا راحة الالوف من الناس ، واذا
قاموا بالاعمال الاجتماعية احدثوا تغييرا عظيما في العمران ، واذا نشروا العلوم
والفنون اقادوا مالا يفيد الكثيرون من العلماء الاعلام
لماذا كانت الحكومة الاستبدادية القليل افرادها اقوى من الامة الكبر عددها ؟
أليس لأن الحكومة جماعة متعاونة ، والامة أفراد متفرقة ؟ ولماذا كانت الامة
الديستورية اقوى من حكومتها ؟ أليس لاجتماعها على رأي واحد في شكل الحكومة
وكيفية سيرها ؟ فالى متى يظل المنحطون من الامم والشعوب غافلين عن هذه
الحقيقة جاهلين طريق هذه القوة - قوة الاجتماع والتعاون - التي بها يرتفع شأنهم ،
ويملو قدومهم ، ويساوون تلك الامم التي ينظرون اليها كما ينظر أهل الارض
الي الكواكب الالامعة في جو السماء ، ويمجدونها على ما أوتيته من السناء والبهاء ،

(*) نشرنا هذه المقالة وما يليها بجمريدة الحضارة التي تصدر بالاسبوع

(المخرج ٥) (٤٤) (المجلد الثالث عشر)

وهذه أخبار التاريخ الماضية ، وحوادث الاجيال الحاضرة ، تعلمهم ان الاجتماع مع التعاون هو القوة التي تذهب بشقائهم ، وتشفيهم من أدوائهم ، وتحقق لهم أمانهم التي يتمنون ، ونعبر لم الرؤى الصالحة التي يرون ، لو أردت ان أئين فوائد الاجتماع والتعاون بطرق الخطابة أو الشعر لاحتجت الى انشاء الدواوين ، ولو أردت ان اجمع الشواهد والوقائع في فضلها الصنتت الاسفار الكثيرة في التواريخ ، ولكتي لأريد هذا ولا ذلك ، إن أريد الاتذكري القارئين بمسألة صارت من الضروريات ، لا يحتاج فيها الي نظم الادلة وترتيب المقدمات ، أريد ان أذكركم ليعملوا ، لا ليطمأوا ما لم يكونوا يطمون ، ولا لأجل ان يقبلوا عند الفراغ بما يقرؤون ، أريد ان أقول لم يقوم انكم ضعفاء في العلم وانتم أذكي الناس أو من أذكاهم ، وانكم فقراء وانتم اقدر البشر على الكسب أو من أقدمهم ، وانكم مهضومون مستضعفون ، لغير ذنب تجنون ، الا تفرقكم وتخاذلكم . انه لا يتقصم الا الاجتماع والتعاون فاجتمعوا وتعاونوا ، ولا يفرقن بينكم اختلاف ديني ولا جنسي مع العلم بأن الحاجة أو الضرورة تقضي باجتماعكم على مابه قوام مصلحتكم المشتركة لأدعوكم الى اجتماع مبهم أو خيالي ، ولا الى تعاون مطلق أو اجمالي ، بل أدعوكم الى الاجتماع لأزالة موانع الاجتماع ، ثم للتعاون على ترقية شأن الاجتماع بالعلم والثروة ، واعلاء شأن الامة والدولة ، بأن تكونوا أصحاب القدر المثل الذي يؤهلكم له ذكواؤكم الفطري وأخلاقكم الموروثة التي ينوء بها التاريخ ، اذ يفاخر بأجدادكم جميع الامم والشعوب :

يا قوم ان لكم من مجد اولكم اربا قد أشقت ان يفنى وينقطع
يا قوم يضتكم لا تفجعن بها اني أخاف عليها الازلم الجذعا
ان الدولة لا ترقى ولا تعز الا بالامة وان الامة بأخلاقها وعلومها وثروتها ،
وان الوراثة اكبر عون للمرء على التربية والعلم والعمل ، فتعاونوا على نشر التعليم
والتربية ، تعاونوا على ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد آن لكم أن تخرجوا من
مأزق الاعمال الفردية الى فضاء الاعمال الاجتماعية ، فلو صار كل واحد منكم أغني من
قارون ، وأعلم بالحكمة من لقمان ، واخطب في العلوم الآسية والحكمة الادبية من علي

ابن ابي طالب ، وأعدل من عمر بن الخطاب ، وأدهى في السياسة المصرية من بسمرك، وانشط من غليوم ، لما اعترف لكم أحد بحق ، ولامكنكم أحد من الاصلاح في الارض ، الا بعد ان تجتمعوا وتتعاونوا

يجب ان توثقوا الشركات المالية ولا تقسوا بها المعنى الاجتماعي الادبي ، لا تقسوا انكم اذا خلطتم أموالكم بعضها ببعض تختلط أرواحكم بعضها ببعض فيزول سوء تأثير الاختلاف الطبيعي بينكم سواء كان اختلافا في الدين والمذهب ، أو الجنس والمشرع

يجب ان توثقوا الجمعيات العلمية والخيرية لتميم التربية والتعليم بين جميع الطبقات ليكون افراد الامة كسلسلة اذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات

يجب ان تطالبوا الاغنياء بيزل الاعانات العظيمة لنشر العلم وانشاء المدارس فمن بخل على الامة بفضل ماله فليكم ان تبنوا للامة أنه عدوها وانه يجب عليها ان تحقه وتحترمه ، وأما من يجرد عليها بما يرفع شأنها فلعلموها كيف تعظم شأنه وترفع قدره ، استعينوا على هذا بالكتاب والشراء ، فهم الذين يربون لكم الاغنياء ،

يا أصحاب الاقلام: ان في أيديكم قوة تعمل بالاتصل السيوف والمدافع ، ان من تعظمونه بالحق يكون قدوة واماما في الخير لاهل عصره ، ولن يأتي من بعده ، وان من تحقروه ولو بالباطل يكون محقرا في زمانه ومحقرا في التاريخ حتى تستحي ذريته ان تنسب اليه فاعرفوا قيمة انفسكم كما عرفها بشاراذ قال :

أني خيفة أحكموا سفاهكم اني أخاف عليكم أن أغضبا
أني خيفة اني ان أهجكم أدع اليمامة لانساوي أربنا

اعرفوا قيمة هذه السلطة المنوية التي لاتظهر قوتها على كالمها الا في الجرائد واستعملوها في اصلاح حال الامة فبذلك يلو قدركم ، ويرفع ذكركم ، وتنالون من الناس احسن الشكر ، ومن الله تعالى اكبر الاجر ،

وأتم بأصحاب الجرائد أولى أصحاب الاقلام بهذا العمل لان صحفكم تجمل لكلامكم من التأثير ما ليس لكلام غيركم الذي لا يقبلون نشره فيها فحرضوا

الكتاب والشراء على هذا الاصلاح ونوهوا بفضل من يساعدكم عليه ولا تبالوا
 بمن عداه بل أدبوه كما تؤدبون بخلاء الاغنياء
 بأصحاب الجرائد: لا تقتنكم سياسة الحكومة فاجعلوا عنايتكم محصورة في أعمالها
 وأقوالها، اجعلوا جل عنايتكم في اصلاح حال الأمة فلن تصلح دولة أمتها جاهلة
 متخاذلة، فباصلاح الأمة يتم لكم ما تريدون من اصلاح الحكومة فهي كل شيء ويجب
 ان يكون لأجلها كل شيء

كيف تنال الأمة حقوقها؟

ان للأمة حقوقا طبيعية وشرعية ، وان حقوقها كحقوق الافراد تنصب منها
 وتلقب عليها ، وان الناصب لها قد يكون واحدا منها أو واحدا من غيرها وقد يكون
 جماعة منها أو من غيرها ، واعني بالفرد الذي ينصب حتى الأمة الحاكم المستبد
 المطلق ، الذي يرجع اليه الأمر كله في سياستها، ان شاء عدل ، وان شاء ظلم ، وان
 شاء أشرك غيره بالحكم ، وان شاء أفرد ، واعني بالجماعة الحكومة المقيدة كيفما كان
 شكلها ونوعها ،

اذا ظلم الافراد ونصبت حقوقهم يختصون الى الحكام فلما ان ينصفوهم واما
 ان لا ينصفوهم ، واما الامم فليس لها محاكم تختصم اليها ، لان حكامها هم الذين
 ينصبون حقوقها ، وماذا تفعل وخصما هو الحكم ، وكيف تتصرف منه اذا جار
 وظلم ، ؟ ومتى تسترد حقوقها منه اذا اعتز وغلظ ؟

لا تنال حقوق الامم بنظم الأقيسة وترتيب المقدمات ، واقامة الحجج وايراد
 الينات ، ولا بالرجاء والتعليل ، ولا بالبكاء والعويل ، لان الناصب لا يكون فاضلا
 عادلا فيقنعه البرهان، ولا رؤفا رحيا فيوثق من ناحية الوجدان ، وانما يكون فظا
 غليظ القلب ، لا ينضم الا للثورة والبأس ، فيعطي بالثورة كما يأخذ بالثورة ،

كيف تصير الأمة المظلومة على أمرها ذات قوة تسترد بها حقها ، اذا كان
 الحاكم واقفا لها بالمرصاد ، مانعا لإيها بقوة من إيجاد قوة لها ، ؟ اتقول ان اليأس

من قوة أمة هذه حالما اقوى من الرجاء فيها ، أم قول يجب أن تشور على حكومتها ثورة تشيب النواصي ، وتزلزل الرواسي ، وتجعل الرفيع وضيعا ، والذليل عزيزا ، أم هنالك حيلة اخرى يكفى منها بالقوة المعنوية ، عن القوة المادية ؟

هذه المعاني قد انتقلت من أوروبا الى الشرق ، وكثر الحديث بها في هذا العصر ، ولاسيما بعد الاقلاب العثماني والاقلاب الفارسي ، وربما تكون قد جالت في ادمغة زعماء الارنوط الذين أوقدوا نار الفتنة في هذه الايام ، وكانوا عوننا على الدولة وعلى انفسهم ، لاولئك الاعداء الذين أجمعوا كيدهم على اسقاط هذه الدولة بل على محوها واقسام ترانها بدون حرب طعون تسفك فيها دماؤهم ، وتعتال بها اموالهم ، فهم انما يجارون بها حربا معنوية ، يفرون عناصر أمتها بالعداوة والبغضاء ، ويضربون بعض أعضائها ببعض حتى تقضي على نفسها قضاء وشيكا أو بطيئا ، يقول لسان حال هؤلاء الساسة أولسان مقالهم للترك انكم انتم الفاتحون وأصحاب السيادة القادرون ، ولا حياة لكم ولا شرف ، بل لابقاء لكم ولا وجود الا بتعصمكم لجنسكم ، وجعل زمام الامة في أيديكم ، فان هذه المزية اذا فاتتكم تكونون وراء سائر العناصر المنسوبة الى دولتكم ، لانهم أقدر منكم على الكسب ، ولا تقدر ان تسبقوهم بالعلم ، فاعتمدوا على هذه الكتاب قبل الكتب ، فهي التي تحفظ لكم السيادة على المعجم والعرب ،

ويقولون للعرب انكم العنصر الاكبر في هذه الدولة ، ولكم الحق الاول في السلطة والخلافة ، وبلادكم قلب الارض ، وموطن الدين ومهبط الوحي ، ولتكم لغة القرآن الذي يدين به فيتعبد بها ثلاث مئة مليون من الناس ، ولكم من السلف في المدنية والعلم ، ما يدل على ان استعدادكم اعلى من استعداد الترك ، بل ومن غير الترك من شعوب الارض ، وهم قد خربوا بلادكم بعد عمرانها ، وحالوا بينكم وبين الاستفادة من كفاءتكم ومزاياها ، وقد آن اوان طلب الحقوق ، والمواخذة على العتوق

ويقولون للارنوط انكم شعب مجيد ، وانكم اولو قوة وأولو بأس شديد ، وانكم أقوى من الترك استعدادا للمدنية ، لانكم من الشعوب الاوربية ، وبلادكم

٣٥٠ كيف تنال الأمة حقوقها (المناهج ١٣٣٥)

قابلة لذلك اذا هي استقلت بالحكم ، وألقت عن كاهلها اقال سلطة الترك ، فدونوا
 لتكم بالحروف اللاتينية ، ولتتحد البلاد الشمالية بالجنوبية ، وسفانولون كل أمنية ،
 بمساعدة أوربا عاشقة الانسانية ، !!
 ويقولون للارمن انكم اذكي العثمانيين أذهانا ، وأطلقهم لسانا ، وأجرأهم جنانا ،
 واقدرهم على الكسب والاعمال ، واسبقهم الى الاتحاد على طلب الاستقلال ، وقد
 جمعتم لذلك ما جمعتم من المال ، وركبتم في عصر نديرون الترك ما ركبتم من الاهوال ،
 حتي اقتحمتم العقاب ، وذلتم الصعاب ، فلا تنهوا ولا تنوا في الامر ، ولا يصدنكم
 ماتالون من الدولة عن طلب الملك ، وان أوربا المسيحية ، لزعية لكم بتحقيق هذه
 الامنية ، فخذوا الالهة وانتظروا القرصة ، وأعدوا لها الشعب كله ، بتعليم المدارس ،
 ووعظ الكنائس ، ووضع صور ملوككم ، وصور يثامى وأرامل المتولين منكم ،
 في بيوت عامتكم وخاصتكم ، مع تحريك الاشجان ، واثارة الاضغان ، بالأناشيد
 والالخان ،

ذلك ما يوسوس به شيطان السياسة الجنسية ، في اغراء الشعوب العثمانية ، وما
 هو الأكيذ وخداع ، جدير بالمصيان لا بالاتباع ، وأما ملك الالهام ، الداعي الى
 الرفاق والسلام ، فانه يصبح بهو لاء الاقوام : لا تستجوا العمى على الهدى ،
 واستجيبوا لداعي العقل دون داعي الهوى ، واعلموا ان تفرقكم واتقسامكم ، وعداءكم
 ونخصامكم ، وإلجاء الدولة الى تفريق قوتها في بلادكم ، لمقاومة فتكم وثوراتكم ، هو
 الذي يحول دون ارتقاتها وارقاتكم ، ويفضي والعياذ بالله الى هلاكها وهلاككم ،
 وارث الدول الاوربية لارضكم ودياركم ، والله إنكم لتكونن حينئذ بعد عن الاستقلال ،
 واقرب الى الخزي والنعكال ، انكم تملكون اليوم في حجر هذه الدولة جميع اسباب
 الارتقاء ، ولا تملكون غدا في حجور اوربا الا اسباب التذلي والاستخذاء ،
 لا مرجا بصد ولا أهلا به ان كان (تفريق العناصر) في غد

لا أقول ان الدولة نفسها ترقمكم ، بل اقول انه لا يرجي ان ترقمكم ، لا لانها
 لا تريد ، بل انها ان ارادت لا تقدر ، وانما يجب عليكم ان ترقوا انفسكم ، وترقوها
 بترقيتكم ، فقد صار أمرها في أيديكم ، نعم ان العنصر التركي هو الذي يدير اليوم

(المارچ ٥ م ١٣) كيف تبال الأمة حقوقها ٣٥١

أمر الحكومة ، لأن له الكثرة في مجلس الأمة ، وان منكم من يسيء الظن به ،
ويعد غاصبا لحق غيره وما لنا له من الوصول الى مطلبه ، وان هؤلاء ليكبرون
الصغير ، وينفلون عن الأمر العظيم ،

الخطب سهل والأمر طبيعي ولا ضرر في كون الغلبة في الحكومة لعنصر يرجح
قومه على غيره في الاعمال ، وانما الضرر ان يكون أمر الحكومة في ايدي الطاجزين
عن الاصلاح ، وان القادرين عليه من جميع العثمانيين قليلون ، واننا الآن في دور
تجربة فندعهم يجرّبون ، ولا يجوز لنا ان نتمادى في سوء الظن ، ولا ان نؤاخذهم
على كل ذنب ، فنجل ما يترفه الشخص ذنبا للعنصر والشعب ، بل يجب على
العقلاء المحييين للاصلاح العناية بامر ين احدهما يتعلق باصلاح الحكومة والآخري
يتعلق باصلاح الأمة

اما اصلاح الحكومة فله طريقان لا بد من الجمع بينهما ، أحدهما حسن اختيار
المبروثين ، وأعضاء المجالس الصومية ، وثانيهما مراقبة العقلاء واصحاب الجرائد للحكام
والعمال في النظارات عامة ، ونظارة المعارف خاصة ، والانتقاد على الظالمين والمفسدين
منهم ، والسعي في زلزالهم ولا يتم شيء من ذلك الا بالاجتماع والتعاون
وأما اصلاح الأمة فله طريقان ايضا لا بد من الجمع بينهما ، أحدهما نشر التعليم
الأهلي مع التربية الصالحة ، وثانيهما الاعمال المالية التي تمي ثروة البلاد ، ولا يتم شيء
منهما الا بالاجتماع والتعاون ،

قد اشرت في مقالة (الاجتماع والتعاون) الى شيء مما يتعلق بالتربية والتعليم
والاستعانة على ذلك بالأغنياء ، وانما قصدت بذلك تبيه الأذهان ، وتوجيه المهتم
وتحريرك الاقلام ، دون التفصيل والاستقصاء ، وعسى أن أئين في مقال او مقالات
أخر كيفية الاجتماع والتعاون على كل من اصلاح الحكومة واصلاح الأمة بشيء من
التفصيل ، وأحوج العثمانيين الى ذلك العرب والترك والكرد والارنوط ، وأما الارمن
والروم والبلغار واليهود فلهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وطرق مصبدة
هم فيها يهرعون ، فلا يحتاجون الى رأينا ، ولا الى معرفة طرق تعليمنا وسعيانا ، بل
نحن المحتاجون الى معرفة سعيهم ، وطرق تربيتهم وتعليمهم

٣٥٢ كيف تنال الأمة حقوقها (المئارج ٥ م ١٣)

ان الاجتماع والتعاون على ذنك الاصلاحين هو الامر العظيم الذي فخل عنه الذين يسعدون ويكتبون في مسألة حقوق العناصر ، هو القوة المعنوية التي تقني عن الثورة ، وتعال الأمة به من حقوقها ما لا ينال بالسيف والمدفع ، مع امن الخطر على الدولة ، التي يجب الاتفاق على حفظ كيانها ، وتعزيزها ورفعة شأنها ، قبل كل سعي ، ومع كل سعي ، وبعد كل سعي ،

يسمع في البلاد العربية قليل من الكلام ، ويوجد في بلاد الارنوط كثير من السلاح ، وكذلك في صحاري الجزيرة والمراق ، ولا تصلح البلاد بهذا ولا ذاك ، على ان السلاح هنا وهناك لم يقن للاستعانة به على الاصلاح ، وانما اتقني ليكافح ويدافع به الناس بعضهم بعضا وقد يساونه في وجه الحكومة اذا أحسوا بالظلم ، وكانت الحكومة ولا تزال بشوئ الماضي عاجزة عن تأمين تلك البلاد وحماية الأهل فيها من عدوان شاكي السلاح ، وأما البلاد التي يشكى فيها من الحكومة ويطلب بعض العناصر فيها بحقوقه فهي أشد البلاد اخلاصا للدولة ، وأبدها عن الخروج والفتنة ، اما العرب فقد خرج صوتهم من عاصمة الملك ، ووردت صدها سورية ومصر ، وهل يوجد أحد أعرف من العاصمة وسورية ومصر بقيمة الدولة واغير عليها وأحرص على عزتها ورفعة شأنها ؟ كلا وانما ذكرت هذه الجملة استدراكا على كل ما تقدم ، لأبين ان الباحثين في حقوق العرب اكثرهم في هذه البلاد ، وانهم اعرق العثمانيين في الفيرة والاخلاق ، على ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين القباضين على ازمة الأمور كماينا ذلك بالتفصيل في مقالاتنا «العرب والترك» بحسب ما ادانا اليه اجتهادنا الى ذلك الوقت ،

نحن نعتقد ان الاسلام قد حرم المصيبة الجنسية ، وجعل المسلمين أخوة على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، وكنا نعتقد ان أشد التعصبات الجنسية ضررا على المسلمين في هذا العصر تعصب العرب والترك للعربية والتركية ولذلك سعينا هنا (في الآستانة) جهدنا قوتنا بالقول والكتابة ، لسد هذه الثغرة التي فتحتها السياسة ، وقد قلت ولا أزال أقول إن الاسلام قد أبعد العرب عن العرة الجنسية حتى صاروا أبعد الام عنها ، وانه لا يقدر أحد على اعادتها اليهم أو اعادتهم اليها ،

(الملتاح ٥ م ١٣) النهضة المصرية والدستور ٣٥٣

اللهم الا من يتعاملون عليهم من الترك فهم وخدم القادرون على هذا الامر ،
وقد عجز عنه الا فرنج اذ حاولوه من قبل ،
ان سيرة ساسة الترك ومتولي أزمة امورهم وكتاب اشهر جرائمهم هي سيرة
من يريد تحريك الجنسية العربية لا مفر من ذلك الابداء كونهم لا يطمون ماذا
يعملون ، فاذا تحقق هذا فان نهي مثلي عن نهوض العرب باسم العرب ما عاد له
قائدة . فاعلي اذا الا ان اذكرهم في جنسيتهم بأمرين لامندوحة عنهما . ولا يمكن
ان يحل محل العرب سواهم فيها . أحدهما جعل أساس نهضتهم تعزيز الدولة العلية ،
وثانيهما ان يكونوا حلقة التعارف والاتصال بين جميع الشعوب الاسلامية ، فالامر
الاول يجب على المسلم وغير المسلم منهم لانهم العنصر الاكبر لهذه الدولة ، والامر
الثاني يجب على مسلميهم خاصة لانهم أولى بالارشاد الاسلامي وأقدر عليه من
غيرهم ، وهم بهاتين الوظيفتين المقدستين لا يقاسون على أمة ولا على شعب ولا يقاس
عليهم غيرهم ، فحقوقهم اعظم ، والواجبات عليهم اثقل ، وامامهم الصراط المستقيم ،
فليبحرهم ان كانوا قائلين ، والله الموفق والمعين .

* * *

النهضة المصرية والدستور

مصر بلاد ممتازة في ادارتها الداخلية، تابعة للدولة العلية العثمانية، فكل مصري
عثماني ، وما كل عثماني مصرياً ، فبينهما العموم والخصوص المطلق كالمهندس والمتعلم
مثلاً ، فكل مهندس متعلم ، وما كل متعلم مهندساً

مرّ على العثمانيين والمصريين زهاء ثلث قرن وهما على طرفي قيفض ، أو حرفي
تباين ، إذ هؤلاء يرسفون في قيود الصودية ، وأولئك يرفلون في حل الحرية ،
ثم تحول شكل الحكومة العثمانية فجأة فطفت من هاوية الاستبداد المطلق ، الى قنة
الحكم النيابي القيد ، فأحدث هذا الطفور شيئاً من رد الفعل قامت الحكومة العرفية
تجوط وتحمي حتى الحكومة الدستورية ، فلولا الجند العثماني لما ذكر الدستور جبراً
(الملتاح ٥) (٤٥) (الملتاح الثالث عشر)

٣٥٤ النهضة المصرية والدستور (المخرج ١٣٠٥)

في هذه البلاد ، ولولا الجيش لما طمع احد في استقرار الدستور فيها ،
وأما مصر فكانت تنطق اذ كانت البلاد العثمانية صامتا واجمة ، وكان العثماني
الحر لا يستطيع ان يتكلم في بلده ، فالمصريون قد طلبوا الدستور بصوت اندي من
صوت العثمانيين واصرح ، هم طلبوه جهرا اذ كنا نطلبه سرا ، ولكن لم يكن لهم
جيش كجيشنا يلبي نداءهم ويحجب دعاءهم ، ولم تكن بلادنا كبلادهم محتلة بجيش
اجنبي ، ولا حكومتنا كحكومتهم محاطة بنفوذ دولة اجنبية قوية ، فوجب ان يكون
طلبهم بالحجة ، وزية الاحساس وجمع الكلمة ، فكل من الفريقين قد سعى الى
مطلبه في محيط الامكان ، ولم يطمع في تجاوزه الى المحال ،
قويت حجة المصريين بعد اعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية
التي هي أهمهم وهم اقدر اولاد هذه الام على رفع بلادهم ، وترقيتها بمجدهم واجتهادهم
وقد انتشر فيهم التعليم ونمي في نفوسهم شعور القومية ، واتسعت دائرة التكافل
والتعاون على المصالح العامة ، فانشأوا بأموالهم الوفا من الكتاتيب الابتدائية ، وانشأوا
مدرسة الجامعة المصرية ، وعندهم عدة جمعيات خيرية وعلمية ، وكثروا قراء الجرائد
والمجلات فيهم ، وبلادهم متصل بعضها ببعض بالسكك الحديدية فلا يحدث في
زاوية من زواياها حادثة ذات بال الا ويطوف خبرها جميع ارجائها في يوم أو يومين ،
فأنتى للبلاد العثمانية ان تشاركها بهذه الزايا كلها ؟ فن انكر على المصريين استحقاق
الحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون زاعما ان استعدادهم دون استعداد اخوتهم
له فهو اما جاهل ملهم ، وإما ظالم ميين
أنا أشهد ان مصر قد صارت أقوى استعدادا للحكم النيابي بفضل التابعين من
أبنائها وأبناء اختها سورية الذين جذبتهم اليها جامعات اللغة والجوار والعادات وبما
استفادته من مشاركة أبناء الشعوب الاوربية ، وبما ساقه اليها الاحتلال الانكليزي
من ضروب العبر في سيطرته على حكومتها ، وتصرفه في ادارتها ومالياتها ، وبما نفخه
استئصال السلطة الاجنبية في نفوس أهلها من حب الخلاص مع بقاء سيادة الدولة العلية
عليها ودوام ارتباطها بها في السياسة الخارجية

(الملتج ١٣ م ٥) النهضة المصرية والدستور ٢٥٥

مع هذا كله أقول ان مصر لا تزال مقصرة في أمر عظيم هو الركن الاعظم والبرهان القاطع لشبهات الاحتلال ولو اهتمت أحزابها وجرائدها به كالاتهام بالسياسة لكانت أقرب الى النجاح والفلاح . ألا ان هذا الامر العظيم هو ما يدل عليه بالإيجاز لفظ (الاقتصاد) وبيانه بالتفصيل والإطناب ، تدخل فصوله في كثير من الابواب ، وما من باب منها الا وقد دخله كثير من المصريين ، فالأفراد منهم يعرفون جميع الجزئيات ، ولكن الأحزاب والجماعات لما تم بما يجب من الكليات يريد من الاقتصاد ان تكون وقبة البلاد لاهلها خالصة لهم من دون الاجانب وأن يكونوا أحراراً في تصرفهم بها ، يريد ان يقف سريان امتلاك الاجانب للأرض عند الحد الذي وصل اليه ، وان نضع عن الوطنيين اصرم واغلال الديون التي ظلوا بها أيديهم الى أعناقهم ، وقيودها التي قيدوا بها أرجلهم ، ثم يريد ان تكون ثروة البلاد قوة في ايدي أبنائها يوادون بها من شاءوا من الأمم وبمجادون بها من شاءوا فيعملون بها ما لا يعمل السبف ولا القلم فتكون هي العون والنصير لهم في مقاصدهم السياسية والاجتماعية

المال هو القطب الذي تدور حوله أفلاك السياسة في جو هذه المدينة قلواه لما زحف اهل الشمال على أهل الجنوب في الشرق والغرب واستولوا على بلادهم باسم الفتح والاستعمار ، أو النفوذ والاحتلال ، وان اصطب الاموال في اوربا لم الذين يتصرفون في سياستها كما يشاهون ، وييدم ميزان الحرب والسلم فهم الذين يزنون ويرجعون ،

ما كان لأهل الشمال أن يكونوا أقوى من أهل الجنوب استعداداً للأعمال المالية، إن زعامة المال فيهم ليست إلا بأيدي رجال منا، انما كما يعلم الخيرون في أيدي اليهود وهم منا (نحن الشرقيين) نساوموطننا وانما ظهرت براعتهم في اوربا باستقرار العدل والحرية فيها ، وبيلي اليهود في الاستعداد سائر اخوانهم السوريين والفلسطينيين ، وان سورية ومصر لأختان شقيقتان ، وقد تملج أبنائهما منذ القرن الماضي فكانا كزاج الماء بالراح ، فاستفاد كل من الآخر ولولا أن قام بعض الكتاب بما قام به من

٣٥٦ النهضة المصرية والدستور (الملتاح ١٣٥٠)

سياسة التحليل ، وإضافة ذنوب الافراد الى الشعب والقييل ، لكان الاتحاد أقوى والاستفادة منه أتم

كل سوري بل كل عربي يجي ، مصر وقيم فيها يحسبها وطنه ويرى أهلها قومه واخوته ، لسانهم لسانه ، وعاداتهم عاداته ، ومحاكمهم محاكمه ، فإذا اثرى فيها كان هو التابع لثروته ، ولم تكن ثروته هي التابعة له الى بلاده ، تجذبه مصر اليها فيكون عضوا من أعضائها ، أو مادة من مواد غذائها ، ولا يجذب هو شيئا من ثروتها الى بلاده لتكون غذاء لها ، فالإلي من السوريين أو العرب بمد حياة مصر المادية بكده وكدهه ، كما يد العالم والاديب منهم حياتها المعنوية بلسانه وقلبه ، فينبغي للمصريين ان يحكموا روابط الاتحاد بينهم وبين من يتصل بهم من اخوانهم المشاركين لهم في جميع مصالحهم ومناقضهم ويستعين بعضهم ببعض على ما يجب العناية به من النهضة الاقتصادية

ان حوادث الزمان قد أعدت النفوس لاحكام هذا الاتحاد وتوثيق روابطه فاستعدت له وقد ترجم عن هذا الاستعداد مدير « الجريدة » في السنة الماضية بمقالة له اقترح فيها اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل ، وان وراء ذلك قوة أخرى لمصر هي غافلة عنها ، وما رأيت أحدا نبه اليها ، وهي زعامة ارقاء الأمة العربية بأسرها ، ولا سيما الولايات العثمانية منها ، فقد دبت الحياة الى هذه الولايات بفضل الدستور وتوجهت وجوه العقلاء الى احياء اللغة العربية بالقول والكتابة والعلوم والفنون ، وان عاصمة دار السلطنة لمي التي تحفز همتهم الى ذلك ، وان سورية لمبسومة الفراعين لطاق مصر وناشرة الشفتين لتقبلها

فالذي أقترحه على مصر الآن هو أن تبادر الى تأليف جمعية أو لجنة اقتصادية أعضاؤها من جميع الاحزاب والعناصر الخاضعة للقوانين المصرية ومن أصحاب الجرائد لاجل القيام بما أشرنا اليه آنفا ، ويجب ان يكون أول عملها احصاء ديون الاهالي والنظر في الطرق القرية لوقاتها وتحويل مداها الى جزر لا تفيض بدهه ثابته ، ثم النظر في مسائل المضاربات والشركات وتلاني ضررها العظيم ، ولا أحاول الا حاطة ببيان كل ما يجب ان تفعله لمنع اغتيال الاجانب لثروة البلاد وتنمية هذه الثروة

(الملتحج ٥ م ١٣) النهضة المصرية والدستور ٣٥٧

وتثيرها ، بل لا يستطيع ذلك مثلي ، فانما أنا مذكر بالامور الكلية التي أرى البلاد قد استعدت لها أو يجب ان تستعد لها ، وان وراه ما ذكرته من المبادئ غايات لأصحى فوائدها ،

انتي قد ذكرت اخواني المصريين بمثل هذا غير مرة ، ذكرتهم به منذ ثلاث عشرة سنة أول مقدي الي مصر في خطب خطبتها ومقالات كتبتها في المنار والمؤيد ، ثم أعدت التذكير بذلك في « الجريدة » أول العهد بصورها وها أنا ذا أعيد التذكير « فذكر ان فقت الذ كرى ، سيد كرم من نجشي »

اذا كانت السياسة قد شغلت قلوبهم وأفكارهم ، وملك عليهم ألسنتهم وأقلامهم ، فهم يظنون ان هذا العمل لا يعارض سياستهم بل يدعمها ويعززها ، فاذا لم يكن الآن وسيلة عاجلة للحكم النيابي فرجا يكون غدا أرجى الوسائل وأقربها ، فان قالت البلاد ما تطلبه من هذا الحكم بالوسائل التي يراها الاحزاب أقرب فليس بضارهم ان يجمعوا بين حكم أنفسهم بأنفسهم وبين حفظ ثروتهم من اغتيال الاجانب ، وقد يضرهم ان لا يكونوا جامعين لها ، فاننا نرى الحكومة العثمانية - وقد صارت دستورية - مغالاة الايدي دون ما ينبغي من الاصلاح لقلّة المال ، وقد كان دينها قبل الدستور قريبا من دين الحكومة المصرية ولكن الامة العثمانية على قهرها وتأخر جيرانها ليست مدينة للاجانب كالامة المصرية على سعة ثروتها وعمران بلادها ،

لا بد لكل من يتصدى لامر عظيم أن يرجو الفوز ويخاف الخذلان وان يمد لكل امرئته ، وحبّة المصري على وجوب حكمه لبلادها لا تزال ناهضة مادامت رغبة البلاد في يده لا حقوق فيها للاجانب ، والآن قد صار زهاء خمسا ملكا للاجانب أقلنا نجشى ان يطنى هذا السيل الاتي حتى يضر نصف اطيان القطر أو أكثر من النصف في زمن قريب اذا لم قم في طريقه السود التي تصد طفياها ؟ ألا نجشى ان يتحد يومئذ أصحاب الاطيان من الاجانب وأصحاب الديون على الفلاح الوطني كما هي عادتهم ويقولوا ان هذه البلاد ليست لكم وحدكم أيها المصريون فيصح قولكم نحن أولى بحكمها وانما هي لنا ولكم ، ونحن أقدر على الحكم منكم ، أو يجب أن يكون مشتركا

بيننا وبينكم كما قال لورد كرومر؟ يومئذ لاتنعم الحجج ولا تفيد المظاهرات ولا يفتي
الاعتصاب شيئاً الا غناءً قد يكون أئمه أكبر من فقه
قد رأيتم العبرة في الصرة المالية التي صدمت البلاد في هذه السنين الاخيرة،
وأيتم كيف أصبح أصحاب الاراضي الواسعة أحير من الضب، واعجز من أسير
الحرب، هذا ولم يكن أصحاب الاموال في أوروبا متحدين على تعدد حربكم حرباً
اقتصادية، وهل يعجز دهاء السياسة الانكليزية أن يحملهم على هذا الأتحاد في
يوم من الايام؟

لكل قطر طبيعة واستعداد والقوة الطبيعية أنفع من القوة المتكلفة، والامة
المصرية مستعدة لمعالجة كل أمة من أمم الارض، بقوتي الثروة والعلو، وليست مستعدة
لمقاومة دولة كبيرة بالحرب، ولا سيما في هذا العصر، فليكن اعتمادها على ما هو قريب
من استعدادها، وعناية الله كافلة لها نيل مرادها،

تاريخ التجنيد العثماني (*)

كان قانون أخذ العسكر موضوع جلسة يوم السبت في مجلس الامة كما يراه
المطالع في باب هذه المذكرات من هذا العدد . وقد صدره قومسيون العسكرية
في المجلس بمقدمة تاريخية باحثة عن طرق التجنيد في الدولة منذ تأسست الى يومنا
هذا فأحينا اقتطاف المهم منها لمحي التاريخ
« اذا استثنينا الرومان فقل ان نصادف في تاريخ عسكرية الامم اشارة لوجود
اجناد دائمة منتظمة . وفي القرون الوسطى كان هذا الامتياز للعثمانيين و بعد قرن
من ذلك أسس شارل السابع ملك فرنسا أجناداً دائمة
« كانت أجناد العثمانية الى سنة ١٧٣٠ هـ . مؤلفة من المتطوعين وعبارة عن
جيش مؤقت يقبل فيه كل راغب من الشبان . لم يكن لباس الجنود واحداً بل كان

(*) نقلتها من جريدة الحضارة التي تطبع بالآستانة

كل واحد يلبس ما يشتهي ويحمل السلاح الذي يريد . وكان الفرمان اسى مقاما من الرجالة . والأسلحة يومئذ عبارة عن الحسام والسنان والبرص والقوس . وكان هذا الجيش المتطوع يدعى « آقنجي » (معناه السيل الجارف) ويوجد غير هذا الجيش جند يدعون الصاكر الخاصة يقيمون دائماً في قاعدة الحكومة

« فلما اتسعت الفتوحات لم يبق من الممكن الا كنفاء بذلك الجيش القليل الصعب جمعه وترتيبه ومست الحاجة الى ايجاد صنوف الرجالة ففي عهد السلطان اورخان أتمر أخوه الوزير الاعظم علاء الدين باشا و خليل باشا الجاندارلي ورتبا خطة لاجراء عسكر دائم فوضعوا أساس الجند المسمى « بكيجرية » (معناه العسكر الجديد) وقد عربها العرب بكلمة انكشارية) وأوجبوا أن يكون الزي العسكري مطرداً ولو في هذا الجيش من أولاد النصارى الذين ادخلوهم في طاعتهم

قد نشأ بين الانكشارية هؤلاء كثير من القواد البرية والبحرية الذين لا يبلى ذكركم ولم يكن في ذلك العهد جيش يضارعه عند أمة من الأمم .

وكان كبيرهم الاعظم يقب آغا وهو في مقام ناظر الحرية . ومن عاداتهم قدس القدر التي يطبخ بها وهي تعطى لهم من قبل السلطان ويجمعون حولها

وكان من يبرز على أقرانه في الحرب والطعان من الرجالة والفرسان يكافأ على ذلك متى بلغ الاربعين او الخمسة والاربعين من العمر فيعطى من البلاد المفتوحة خراج مقاطعة مثل لواء أو قضاء أو خراج قرية واحدة فقط فما كان من الاقطاع تبلغ وارداته من ٣٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ أقبه يسمى تيمارا . وما كانت وارداته من ٢٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠٠ أقبه يسمى زعامه فكل ذي تيمار عليه ان ينفق عن حساب كل ٣٠٠٠ أقبه على راجل واحد . وكل ذي زعامه عليه ان ينفق عن حساب كل ٢٠٠٠٠ أقبه على فارس قادر تام الأمانة . فاذا وقعت حرب كان هؤلاء مع رجالهم المكلفين بنفقاتهم حاضرين مع الملك . ويسمى هؤلاء بالفرسان ذوي الاطيان (الاراضي) وقد بلغ عددهم في عهد السلطان سليمان القانوني مئة وخمسين ألفاً وفي عهد محمد الرابع بلغ عددهم مئة وثمانية وسبعين ألفاً ومئتين

أما عدد الصاكر في تلك الاعصار فكان هكذا: القبولى ٧٤١٤٨ والفرسان
أولو الاطيان مع فرسان الأليات الممتازة ١٧٤١٩٢ والصاكر البحرية ٥٥٧٢
المجموع ٢٦٣٩١٢ وأما القول بأن القانوني دخل بلاد المجر ثلاث مئة الف مقاتل
معهم ٣٠٠ مدفع فهو من روايات المؤرخين الاجانب

في بدء احداث الانكشارية كان الواحد منهم يعطى في اليوم اقبح واحدة
والاقبح سكة عثمانية فضية وزن ثلث دوهم فضة من عيار التسمين ثم تنزل عيارها
فانقضى ذلك ان يزداد لهم الى ثلاث اقجيات وفي أواخر القرن العاشر زيد لهم الى
خمس وفي القرن الحادي عشر زيد لهم سبع ثم زيد لهم في أواخر ارمهم الى سبع
وعشرين اقجه في اليوم ولم يكن من مساواة في العطاء بل كان بعضهم يأخذ أكثر
من بعض . أما اعظام فكان يأخذ خمس مئة اقجه في اليوم

كان هذا الجيش اسى جيش في الدنيا ولم يكن يؤتب من فتح الا الى فتح
آخر حتى رفع مركز السلطنة العثمانية الى الذروة العليا التي امتازت بها بين الدول ولكن
امر الزمان عجيب فان هذا الجيش الذي كان سبب هذه النعم العظيمة ما لبث ان
طغى واستكبر ، واستولى عليه الغرور والاشرف ، فدخل عليه الفساد من كل باب ،
وتوصل اليه المكروه بجملة اسباب ، فعاد شروما على الدولة بعد ان كان يمتنا ، وبوشما
بعد ان كان نعمى ، حتى بلغ بعد القرن الثاني عشر ميلنا من تفكك الروابط وشيوع
الغرضي وقلة الطاعة وكثرة عدم المبالاة ليس وراءه مبلغ فلصبح بعد تلك البسالة
العظيمة التي امتاز بها يكتر فيه الفارون من مواطن الزحف حتى من امام الجيوش التي
هي اقل منه عددا

وكانت العسكرية في أوروبا قد بدأت تخطو خطوات واسعة في درجات
الكمال فيومئذ صرفت وجوه الآمال عن مظالم الخصوم بالمهجوم والفتوح وبقيت
الافكار مشغولة بأمر الدفاع عما في اليد لان القوة العسكرية اصبحت على وشك
الاضطلال البتة

جال هذا الامر في فكر سليم الثالث ونظر الى عاقبة امر الدولة اذا ظل زمام
المدافعة بيد هؤلاء الانكشارية الذين كثر فيهم الفشل واستولى عليهم الخطل قبدى

له رأي ونهض له بقوة . ذلك أنه أحدث عسكريا على قواعد تناسب الزمان والمكان وجعل له عنوان « نظام جديد » وجمع من هذا النظام الجديد ثلاثين ألفا وعزم على الفاء الانكشارية . ولكن هذا النظام الجديد لم يستطع الوقوف أمام بأس الانكشارية الا نحو ست سنين ولم يتمكن سليم الثالث من تلك الامنية العظيمة التي كان يتقاضى الظفر بها بقاء الدولة

لكن الذي لم يتيسر لسليم الثالث يتيسر لمحمود الثاني الذي رأى ان الفاء هذه العساكر العظيمة باصدار الاوامر ليس من الممكن وأن هذا الامر لا يتم الا بالتكثير والتشريد بهم فاستقى في قتلهم على إثر تمرد وبني وطغيان فأقفي فيه وتوسل الى اجنثا هذه الشجرة من أصلها بما هدته اليه الفطنة المتوقدة وكان ذلك في يوم السبت

في ١١ ذي القعدة من عام ١٢٤١ هـ - ١٧ حزيران ١٨٢٦ م

«أما آغا الانكشارية حسين آغا فانه كان مقتنعا بفوائد النظام الجديد فأعطي لقب باشا ونصب سر عسكريا ولقب العساكر الجديدة بالعساكر المحمدية المنصورة هكذا وضع أساس النظام الجديد لعسكريتنا وعلى هذا يكون عمر جيشنا الجديد سبعا وثمانين سنة . ينقسم تاريخ الجيش الجديد الى ثلاثة ادوار الاول دور التأسيس والثاني دور التفرقة والثالث دور التكليف العسكري . فالدور الاول من ١٢٤١ الى ١٢٦٠ أي عبارة عن تسع عشرة سنة كانوا يلمون العسكر ممن صادفوه من الشبان الاقوياء . لم يستأنس الناس في بدء الامر بهذه الطريقة لانهم كانوا قد تعودوا رؤية هيئة الانكشارية وانكروا من هذه الطريقة انها من سنن الافرنج

ولم تكن مدة التجنيد معينة أيضا وفي ١٢٤٤ - ١٢٤٥ وقعت الحرب بين الدولة والروس (التي انتهت بمعاودة ادركه) فكان من البديهي ان لا تظهر الثمرات المتظرة من النظام الجديد لقصر المدة وفي تلك الاثناء اخذت خدمة الدولة المارشال موثسكه الذي ظفر في محاربة ثلاث دول في بحرست سنين واطلع من امارة بروسيا الصغيرة امبراطورية المانيا العظيمة ولكن حالت الحوائل دون الاستفادة من خدمة هذا الرجل العظيم فان الدولة في تلك السنين كانت قد شغلتها حوادث وحروب المورة

(المارچ ٥) (٤٦) (المجلد الثالث عشر)

والبوسنة والمهرسك والتب دلتلي ومحمد علي وكان عدد الجيش الجديد هكذا: الساسكر المنتظمة ٨٠٠٠٠٠ والرديف ١٣٠٠٠٠٠ والساسكر البحرية ٥٠٠٠٠٠٠ الجميع ٢١٥٠٠٠٠ وكان سوى هؤلاء نحو من عشرة آلاف من الخيالة المنتظمة ونحو اربعة الآيات من الخيالة المتق .

واتوا بعد ذلك بمطمين من المانيا فحصل اصلاح في ترتيب الجيش ولكن طريقة الهم كانت لاتزال على حالها فلذلك لم تصل الاصلاحات الى الدرجة المطلوبة ودام الامر على هذا المنوال الى ١٢٦٠ ففي هذه السنة وضع اساس جديد للدولة بمعرفة رشيد باشا الكبير وقرئ خط كلخانه الذي يتضمن هذا الاساس فدخلت عسكريتنا الجديدة في دورها الثاني

من هذا التاريخ انيت طريقة الهم ، ووضعت طريقة القرعة ، وحددت مدة العسكرية ، ووضع قانون لاخذ المسكر على هذه الطريقة من قبل ضباط بروسيانيين جعلت بموجبه خدمة المسكر الموظف خمس سنين والرديف سبعا ومن دخل في أسنان العسكرية تسحب قرعته فان اصابته القرعة تلك السنة يؤخذ وان لم تصبه يترك الى السنة التي بعدها . فان لم تصبه مدة السنين الخمس يعني من الخدمة . وقد قسمت البلاد العثمانية الى دوائر رديفية فأصبح للمسكروية نظام حقا . وفي حرب القريم ظهرت ثمرات عظيمة من هذا النظام . وقسمت الاجناد كلها الى ستة كان كل جند (اردو) فيه حين السلم ستة آيات ورجالة واربعة آيات خيالة والأي واحد مدفعي سيار فكان عدد الاجناد حين السلم هكذا : النظامية ١٥٠٠٠٠٠ ونحو من ذلك عدد الرديف بحيث يتكون من النظامية والرديف وقت الحرب ٣٠٠٠٠٠٠

وفي خط كلخانه يوجد نص على أنه يؤخذ للمسكر من غير المسلمين ولكن اقتضاءات الزمان منعت من ذلك

وفي عام ١٢٨٦ حدث تحوير في ترتيب العسكرية فجلت مدة الخدمة ثلاثا للمسكر الموظف ، وستين لخدمة الاحتياطية ، وستا لخدمة الرديفية ، وثمانا للمستحفظية وكان عدد الاجناد في ذلك العهد هكذا : النظامية والاحتياطية ٢٣٧٠٠٠ والرديف ٣٥٠٠٠٠٠ أو يزيد على هذا المقدار . وكان عدد أجناد الدولة كلها في زمن محاربة

روسية ٧٥٩ ٠٠٠ ولكن لاستمرار الحرب ثلاث سنين وضباع كثير من الارواح
تضعف هذا الجيش ومست الحاجة بعد ذلك لتحويلات فيه ففي عام اربع وتسعين
حوّل اسم السر عسكرية الى اسم نظارة الحرية وقسمت اللوازم والاستعدادات
العسكرية الى شعب ودوائر وأعدت الاجناد شكلا آخر جديدا . وفي عام ثمان
وتسعين اتى بجماعة من ضباط الالمان من صنف مختلفة في الجيش الالمانى وأخذت
أراؤهم في الاصلاح العسكري وكان يرأسهم كهر باشا . وبعد سنة جيء بالبكباشي
فوندرغولج باشا فأرشد هذا الى طرق كثيرة للاصلاح العسكري بالرغم مما كان
يجول بينه وبين الاصلاح من الموانع التي هي معهودة ومعروفة في ذلك العهد
الى هذا الرجل يعزى النظر في تريب الدروس أحسن ترتيب في المدرسة
الحرية ، واليه يعزى السبب في تغيير طريقة القرعة ووضع قانون أخذ العسكر
المصول به الى عهدنا هذا

* *

د أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقا
بالشرف الذي يحصل من خدمة الاوطان فكان خطأ من حكومتنا لا يعفى عنه وكان
من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن والاغرب من ذلك حرمان أهل
هذه الطائفة من هذا الشرف ايضا

فن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغيير الجديد السعيد
في الوطن هو الاسراع لدفع هذا الخطأ المتأني للقانون الاساسي
هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين
نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن ، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفاً
واحداً أمام كل عدو معرضين حياتهم للقاومة في سبيل مقصد واحد هو إعلاء شأن
الرابطة الوحيدة التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز

العمران العربي

✦ وصف الجامع الأموي ✦

هو من أشهر جوامع الإسلام حسنا واثقنا بناء وغرابة صنعة واختفال تقيق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك نفي عن استغراق الوصف فيه . ومن عجيب شأنه انه لا تنسج به المنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف . اتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك (رح) ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإثني عشر ألفا من الصناع من بلاده وتهدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامتل أمره مدعنا بدمر اسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الناية في التائق فيه وانزلت جدره كلها بنصوص من الذهب الحروف بالفسيفساء وخلطت بها انواع من الأصبغة الغريبة قدمت اشجارا وفرعت اغصانا منظومة بالنصوص ببدائع من الصنعة الانيقة المحجرة وصف كل واصف فجاء يفشي العيون وميضار بصيصا وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلي الاسدي في جزء وصفه في ذكر بنائه مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار ومثتا ألف دينار فكان مبلغ الجميع احدى عشر ألف ألف دينار ومثتا ألف دينار . والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة . الباقية منه في ايدي النصارى وأدخلها فيه لانه كان قسما قسما للمسلمين وهو الشرقي وقسما للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد في الجهة الغربية فأتى الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي

(*) نقل عن رحلة ابن جبير من وصفه للجامع الأموي اذ زاره في سنة ٥٨٠ هـ

واتمى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصيروه مسجداً أو بقي النصف المصارع عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا ذلك فأنزعه منهم قهراً وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهدم كنيستهم يجن فبادر وقال أنا أول من يجن في اللهو بدأ المدم يده فبادر المسلمون واكلا هدمه ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب متاً خطوة وهما ثلاث مئة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي متاً ذراع فيكون تكبيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون مرجماً وهو تكبير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان مسجد رسول الله صلى الله عليه من القبلة الى الشمال . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين عموداً منها اربعة وخمسون سارية وثمانى أرجل جصية تتخللها واثنان مرخمة ملصقة معها في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبداع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط الاوسط قل قبة الرصاص مع القبلة التي تلي المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبراً وطولها عشرون شبراً وبين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض ثلاث عشرة خطوة فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشالية سعة عشرة خطى وعدد قوائمه سبع وأربعون منها اربعة عشر رجلاً من الجص وسائرها سوار فيكون سعة الصحن حاشا المسقف القبلي والشالي مئة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غاربها يتصل من المحراب الى الصحن وتحت ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة الرصاص بينها . والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه فاذا استقبلتها ابصرت منظر ارائعاً ومرأى هائلاً يشبهه بنسر طائر كان القبة رأسه والغارب جوفه ونصف جدار البلاط

٣٦٦ وصف الجامع الاموي (المخرج ١٣٠٥)

على يمين: نصف الثاني على شمال جناحه وسعة هذا الفراغ من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملوثة اربع وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر وفي القبة المتصلة بالحراب مع ما يليها من الجدر اربع عشرة شمسية . وفي طول الجدار عن يمين الحراب ويساره اربع وأربعون وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفي ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية .

وفي الجامع ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة رضي الله عنهم وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعا معاوية بن أبي سفيان (رض) وبازاء محرابها عن يمين مستقبل القبة باب حديد كان يدخل معاوية (رض) الى المقصورة منه الى الحراب وبازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء (رض) وخلفها كانت دار معاوية (رض) وهي اليوم سماط عظيم للصغار ينصل بطول جدار الجامع القبلي ولا سماط أحسن منظرا منه ولا أكبر طولاً وعرضاً . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخليل يرسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكادين وطول المقصورة الصحابية المذكورة اربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويلها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي احدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة الى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة وكانت مقصورة الصحابة أولا في نصف الخط الاسلامي من الكنيسة وكان الجدار حيث اعيد المحراب في المقصورة المحدثه فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجدا صارت مقصورة الصحابة طرفا في الجانب الشرقي وأحدثت المقصورة الاخرى وسطا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال وهذه المقصورة المحدثه أكبر من الصحابية . وبالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة اخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون وبازائها زاوية محدقة بالاعواد المشرجية كأنها مقصورة صغيرة وبالجانب الشرقي في زاوية اخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها

أحد امراء الدولة التركية وهي لاصته بالجدار الشرقي. وبالجامع عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والنوس والافراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبلية عشرون بابا متصلا بطول الجدار قد عنتها قسي حصية مخزومة كلها على هيئة الشمسيات تبصر العين من اتصالها اجمل منظر واحسنه

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الأعمدة ابواب مقوسة قلها أعمدة صغار تليف بالصحن كله. ومنظر هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها وفي مجتمع أهل البلد وهو مترجم ومترجم كل عشية ترام فيه ذاهبين وواجبين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد فثمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى اقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون. وبعضهم بالنداء مثل ذلك. واكثر الاحتفال انما هو بالعشي فيقبل لبصر ذلك انها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لا يزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم حراسين

والجامع ثلاث صوامع واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد تحتوي على مساكن متسة وزوايا قسيحة راجحة كلها الى اغلاق يسكنها اقوام من الغرباء اهل الخير. والبيت الاعلى منها كان متكف ابي حامد الغزالي رحمه الله ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد ابو عبد الله بن سعيد من اهل قلعة يحصب المنسوبة لهم وهو قريب لبني سعيد المشهورين بالدنيا وخدمتها. وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف باب الناطقين

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبنة الملونة كأنها الروضة حسنا وعليها قبة رصاص كأنها التور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزنا لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تيف على

٣٦٨ وصف الجامع الأموي (التاريخ ٥ م ١٣)

ما ذكر لنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر ألف درهم مؤتمية أو نحوها . وفيه أخرى صغيرة في وسط الصحن بحفرة مشنة من رخام قد ألصق أبداع إلصاق قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يجمع الماء الي علو فيرتفع ويتقي كأنه قضيب من لجين يشربه الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافا واستحسانا ويسمونه قفص الماء . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن اصغر منها

وفي الجانب الشمالي من الصحن باب كبير يفضي الى مسجد كبير في وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائما من صفحة رخام ايض مشنة قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود مقرب يصعد الماء منه اليها ويعرف هذا الموضع بالكلاسة ويصلي فيه اليوم صاحبنا الفقيه الزاهد المحدث ابو جعفر الفسكي القرطبي ويتزاحم الناس علي الصلاة فيه خلفه التماسا لبركته واستماعا لحسن صوته

وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الي مسجد من أحسن المساجد وابدعها وضعا وأجملها بناء يذكر الشيعة انه مشهد لعلي بن أبي طالب (رض) وهذا من أغرب مختلفاتهم . ومن العجيب انه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتحق آخر البلاط الشمالي مع اول البلاط الغربي مجلل بستر في اعلاه وامامه ستر ايضا منسدل يزعم اكثر الناس انه موضع لعائشة (رض) وانها كانت تسمع الحديث فيه وعائشة (رض) في دخول دمشق كعلي (رض) لكن لهم في علي (رض) مندوحة من القول وذلك انهم يزعمون انه روئي في المنام مصليا في ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجدا واما الموضع المنسوب لعائشة (رض) فلا مندوحة فيه وانما ذكرناه لشهرته في الجامع وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا وباطنا منزلا كله بالفصوص المذهبة مزخرفا بأبداع وخاريف البناء المعجز الصنعة قادره الحريق مرتين قهدهم وجدده وذهب اكثر رخامه فاستحال روثه فأسلم ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها .

ومحراه من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقددها كله وقد قامت في وسطه محاريب صفار متصلة بمجداره تحمها سوريات مفتولات قتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيء اجمل منها وبعضها حمر كأنها مرجان . فشان قبله هذا الجامع المبارك مع ما يتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملوثة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها حتى ترتعي الى الابصار منه اشعة ملونة يتصل ذلك بمجداره القبلي كله عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه والله يعمره بمنه

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المهراب خزنة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزانة كل يوم أثر الصلاة فيتبرك الناس بلحسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه

وله أربعة أبواب (باب) قبلي ويعرف باب الزيادة وله دهليز كبير متسع وله أعمدة عظام وفيه حوائط للخرزيين وسوام وله مرأى رائع ومنه يفضي الى دار النخل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي كانت دار معاوية (رض) وتعرف بالخضراء (وباب) شرقي وهو أعظم الابواب ويعرف باب جيرون (وباب) غربي ويعرف باب البريد (وباب) شمالي ويعرف باب التاطنين وللشرقي والغربي والشمالي ايضا من هذه الابواب دهليز متسع يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل باب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقسومة لها ستة أعمدة طوال وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حنبل كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم نقل الى القاهرة وبارائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا قد حفته اعمدة كالجزوع طولاً وكالاطواد ضخامة وبجانبها هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها الحوائط

(المار ج ٥) (٤٧) (المجلد الثالث عشر)

المتنظمة للمطارين وسوامم وعليها شوارع أخر مستطيلة فيها الحُجَر والبيوت للكرام
مشرقة على الدهليز وفوقها سطح بيت به سكان الحُجَر والبيوت
وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة قلها أعمدة من
الرخام ويستدير بأعلاما طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينطف عليها
تعتيب وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صغري زعج الماء بقوة فيرغم الى الهواء
ازيد من القامة وحوله اثايب صغار ترمى الماء الى علو فيخرج عنها
كقضببان اللجين فكانها أفضان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من ان
يلحقه الرصف

وعن يمين الخارج من باب جبرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة لها هيعة
طابق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صفارا على عدد ساعات النهار
ودبرت تديرا هندسيا فعدا اقتضاء ساعة من النهار تسقط صنجان من صفر من
في بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما .
احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان
فعدا وقوع البندقين فيما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين بمدان
عقبهما بالبندقين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدير صجيب تتخيل الاوهم
سحرا وعند وقوع البندقين في الطاستين يسمع لما دوي وينطلق الباب الذي هو
للك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند كل اقتضاء ساعة من النهار
حتى تنطلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولما بالليل
تدير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثني عشرة
دائرة من النحاس منحرفة وتمترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار مدبر ذلك
كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب
مقدار الساعة فاذا اقتضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها
فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل
وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها دريب بشأنها واتقلا يبعد
فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسمونها الناس النجاة

ودهليز الباب الغربي فيه حوائط البقالين والمطارين وفيه مصاطيع الفواكه وفي اعلاه باب عظيم يصعد اليه على ادراج وله اعمدة سامية في الهواء وتحت الادراج سقائتان مستديرتان سقاية يمينا وسقاية يسارا لكل سقاية خمسة انايب ترمي الماء في حوض رخام مستطيل . ودهليز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالاعواد المشرجبة هي محاصر لمطي الصبيان . وعن يمين الخارج في الدهليز خاقة مبنية للصفوفية في وسطها صهرج ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والصهرج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مظاهر يجري الماء في بيوتها وعن يمين الخارج ايضا من باب البريد مدرسة للشافعية في وسطها صهرج يجري الماء فيه ولها مظاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة عمودان متباعدان يسيراً لها رؤسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خرما أحسن تخريم يسرجان ليلة النصف من شبان فيلوحان كأنهما ثريتان مشتعلتان . واحتفال اهل هذه البلدة لهذه الليلة اكثر من احتفالهم بسبع وعشرين من رمضان المعظم .

أنا على البرية

تربية البنات (*)

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي
في حب مصر كثيرة العشاق
اني لأجمل في هواك صباية
يا مصر قد خرجت عن الاطواق
لهني عليك متى أراك طليقة
يحيي كريم حماك شيب راق
وأديب قوم تستعق يمينه
قطع الانامل أو اظلي الاحراق

(*) قصيدة لشاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم انشدها في حفلة اقيمت بيورسعيد لاعانة مدرسة البنات وقد سلك شاعرنا في هذه القصيدة مسلكا في انتقاد الاخلاق والمعادن كان من الادلة الكثيرة على تفوق حافظ وعسى ان يجنح الشاعر للتوفر على قرض هذا الاسلوب من الشعر فإنه من خير الادوية لادواء الناس

(المأرج ١٣٠٥)

تزية البات

٣٧٢

كف بمحود الخلال متيم
اني لتطريبي الخلال كريمة
ويهزني ذكر المروعة والندی
مالالبالية في صفاء مزاجها
والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي
بالذم من خلق كريم طاهر
فاذا رزقت خليفة محمودة
فاناس هذا حظه مال . وذا
والمال ان لم تدخره محصنا
والعلم ان لم تكثفه شمائل
لا تمسبن العلم ينفع وحده
كم عالم مد العلم حباتلا
وقيه قوم ظل يرصد فقهم
يمشي وقد نصبت عليه عمامة
وطيب قوم قد أحل لطفه
قتل الاجنة في البطون وتارة
أغلى وأمن من تجارب علمه
ومهندس للنيل بات بكفه
متفنت تدرسه وتيس كفه
لاشيء يلوي من هواه حده

بالبدل بين يديك والاتاق
طرب الغريب بأوبة وتلاق
بين الشمائل هزة المشتاق
والشرب بين تنافس وسباق
والبدر يشرق من جبين الساق
قد مزجته سلامة الاذواق
فقد اصطفاك مقسم الارزاق
علم . وذاك مكارم الاخلاق
بالعلم كان نهاية الاملاق
نطيه كان مطية الاخفاق
مالم يتوج به بمخلاق
لوقية وقطية وفراق
لكيدة أو مستحل طلاق
كالبرج لكن فوق تل نفاق
مالأحمل شريعة الخلاق
جمع الدواق من دم مهراق
يوم الفخار تجارب الحلاق
مفتاح رزق العامل المطراق^(١)
بالماء طوع الاصفر البراق
في السلب حد الغائن السراق

(١) الذي يكثر طرق أبواب الرزق

٣٧٣

تربية البنات

(المنار ج ٥ م ١٣)

يلهو ويلب بالمقول بيانه
 في كفه قلم يبعج لعابه
 يرد الحقائق وهيبيض نصع
 فيردها سودا على جنباتها
 عريت عن الخلق المطهر نفسه
 لو كان ذا خلق لا سعد قومه
 من لي بتربية النساء فانها
 الأم مدرسة اذا أعدتها
 الأم روض ان تمهده الحيا
 الام أستاذة الاساتذة الأولى
 أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
 يدرجن حيث اردن لامن وازع
 يفعلن افعال الرجال لو اهما
 في دورهن شؤونهن كثيرة
 كلاولا أدعوكم ان تسمرفرا
 ليست نساؤكم حلي وجواهرها
 ليست نساؤكم انا بقتى
 تتشكل الازمان في أدوارها
 فتوسطوا في الحاليتين وانصفوا
 ربوا البنات على الفضيلة انها
 وعليكم ان تستين بناتكم

فكانه في السحر رقية راق
 سما وينفته على الاوراق
 قدسية علوية الاشراف
 من ظلمة التمويه ألف نطاق
 خياته قتل على الاعناق
 يديانه ويراعه السباق
 في الشرق آية ذلك الاخفاق
 أعددت شعبا طيب الاعراق
 بالري أورق أبا اراق
 شلت ما أرمم مدى الآفاق
 بين الرجال يجلمن في الاسواق
 يحذرن رقبتهم ولا من واق
 عن واجبات نواعس الاحداق
 كشؤون رب السيف والمزارق
 في الحب والتضيق والارهاق
 خوف الضياع تصان في الاحقاق
 في الدور بين مخادع وطباق
 دولا وهن على الجمود بواق
 فالشر في التقييد والاطلاق
 في الموقفين لمن خير وثاق
 نور الهدى وعلى الحياء الباقي

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ فلسفة النشوء والارتقاء ﴾

وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل الشهير . صفحاته ۳۶۷ بقطع المنار وحروفه . طبع بمطبعة المتكطف بمصر سنة ۱۹۱۰ ويطلب من مؤلفه بمصر

اهدى الينا صديقنا الدكتور شبلي شميل هذا الكتاب الذي اعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام لنفاد الطبعة الاولى ولرغبة الكثيرين من أصدقائه في ذلك وقد اثبت على صفحته الاولى هذه الفقرة « طالع هذا الكتاب بكل تمنى ولا تطالعهُ إلا بعد أن تطلق نفسك من أسرار اغراض ثلاثم عليك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء استارها » ونحن لم نتمكن من التوفر على مطالعته لنبدي رأينا فيه بحرية واخلاص ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول ان فلسفة النشوء والارتقاء لاتنافي الاسلام بجمليتها كما أنها لاتتضم معه ومع العقل في تفصيلاتها ولم يكن لصديقنا الدكتور ولا لواضعيها اذ وضعوها مطمع في أن تكون قضية مسلمة بكلياتها وجزئياتها

ولو ان الدكتور شميلا اقتصر في كتابه هذا على شرح فلسفة دارون وهكسلي وآرائهما في أصل الانواع وأدلتها على تحولها وارتقاها وتأييد مذهبها بأرائه الخاصة دون التعرض للشرائع الآلهية والأديان المتبعة لتقبلها اهل الاستعداد له بقبول حسن أما محاولة الدكتور لارادة القراء على الامر من فطمع في غير مطمع وهذه الحكومة الفرنسية على تشدها في محاربة زعماء الدين بهوتي الدليل والا كراه لم تتمكن من نزع الدين من النفوس على كونه دينا تسليميا بحسب لايسوع للعقل ان ينكر منه شيئا وان كان غير معقول فما بالك بدين الاسلام الذي يفيد كل منكور عقلا بل هو الدين الذي فك العقول من عقلمها واشرع سبيل استقلال الفكر وارشد الى النظر

في أسرار الكون والحكم على الأشياء بالعقل دون الهوى لاجرم ان ديننا هذا مكانه من أفئدة أهل لا يقوى على زلزاله منها شبهات مرجحها آراء ومرويات لرجال الدين وبما يكون الدين بريئا منها

لواتيح للدكتور شميل ان ينظر في الاسلام نظرة تنفذ الى صميمه على الشرط الذي وضعه لقراء كتابه لآب اليوم وهو مسلم قلبا ولسانا وها هو اليوم على كونه لم يُعْنِ بنفهم فلسفة الاسلام بعض عنايته بحل طلسمات مذهب دارون نراه - وهو المنصف المستقل الفكر - يقول إن القرآن هو أحكم الشرائع التي ينسبها للبشر وان محمداً أعظم رجل في التاريخ حتى اني قلت له مرة : اذا انت مسلم ؟ فقال : بل محمدي !! بل هذه كلمته في خاتمة الحفيلة التي هي صورة مصغرة للكتاب قال (ص ٣٥٢)

« خدمت الشريعة للقرآن فانها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية المستوفاة (١) التي ترمي الى أغراض دنيوية حقيقية بمعنى أنها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع بل اهتمت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا . وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية حتى ان الجنة نفسها لم تخرج فيها من هذا الحكم من اشجار وثمار وأنهار الى آخر ما هنالك وطالما جرى اتباعها عليها صلحت امور دنياهم على سواهم . الخ » ثم ذكر بعد ذلك مزج علماء المسلمين لنظريات الفلاسفة اليونانية في كلامهم حتى صرفوا بذلك الدين عن حقيقته وحلوله عن غايته « الى المرامي المجردة والمنازع النظرية وسائر علوم الجدل الادبية المقامة عليها حتى الى المالا علاقة له بالدين مطلقا (٢) »

(١) شريعة موسى مادية عملية أيضا ولكنها غير مستوفاة . وشريعة عيسى وان كانت حكماً ومواعظ تعتبر اصولا كلية الا انها في مجلتها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا . بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي . اه من هامش الكتاب

(٢) ان الاسئلة التي ترد على مجلة المنار من اطراف العالم الاسلامي والتي يتجشم صاحب المنار المنضال مشقة الرد عليها مضطرا لتلك على مبلغ تهقر القوم في فهم الدين (وبعد ان ذكر امثلة من تلك الاسئلة قال) وغير ذلك من الاسئلة التي تضطرب لها عظام النبي في قبره والقرآن وشريعته بريئان منها لو أنهم يفقهون . اه من هامش الكتاب

إلى غير ذلك من الأقوال التي تدل على أن الدكتور أفاضل إنما هو منكر للفواشي التي علفت بالدين ساخط على تقاليدہ وغلط كثير من أهله بين جوهره ونظر ياتهم ونحن نقر الدكتور على هذا الرأي بل نحن إنما نكتب ونخطب سعيًا وراء هدم تلك التقاليد التي تبرا منها ومن المصريين عليها
والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق جيد ويطاب من مؤلفه بميدان توفيق بمصر



❦ ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب ❦

وهو القسم الأول من الجزء الثالث من الكتاب تأليف ياقوت الرومي الشهير المتوفى في القرن السابع وعني بنسخه وتصحيحه الدكتور مرجيلوث الأستاذ بجامعة أكسفورد صفحاته ٤١٥ بقطع المنار. طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩١٠

أهدى إلينا الدكتور مرجيلوث الجزء الذي أصدره في هذا الشهر من هذا المعجم الجامع النافع وهو يتضمن تراجم اثنين وأربعين واحدا من أعلام الأدب أولهم حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني من أهل واسط المتوفى في منتصف القرن السادس وآخرهم الحسن بن ميهون المصري . ولبعضهم تراجم مطولة تحتوي على عشرات الصفحات كترجمة السيرافي النحوي المعروف فهي زيادة على أربعين صفحة، ولآخرين منهم تراجم مختصرة جدا لا تبلغ إلا أسطرًا قليلة كترجمة الحسن بن علي المدائني النحوي . والتراجم مرتبة على حروف المعجم ومن يلاحظ أن هذا الجزء أو القسم لم يتم به حرف الحاء يعلم أن هذا الكتاب من أحفل موسوعات الأدب في تراجم مشهوري أدباء العرب

وأحفل مترجمي هذا الجزء سيرة هم من أعلام النحاة وربما يتعجب أدباء هذا العصر إذ يسمعون هذا لأنهم يرون نحائهم صارفين أيام حياتهم في تتبع المناقشات العميقة وتفهم الاختلافات السقيمة وأن واحدهم ليحار حيرة الضب إذ عرض له أن يكتب كتابا إلى أحد خلطائه أو رهطه ولو أطلع مطمئنا على ما يكتبون لسخر منهم واستهزأ بهم ولا أخذته الحيرة إذ يرى كثرة اللحن والنراكيب السخيفة والخروج فيما يكتبون

عن الحدود والرسوم التي افتوا أعمارهم في قهها وتفهيمها ولكن لا عجب في ذلك
فإن أئمة النحاة في الماضي كانوا يعدون النحو أداة أو مرآة تتوكل فهمهم بها الى
الوقوف على « اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز » حتى تصير البلاغة ذوقا لهم فيتمكنون
من فهم كلام الله فما دونه في البلاغة ويتمنون على احتذاء الكلام البليغ في
المكتوبات والخطب ولكن نحاة هذا العصر حسبوا ان النحو غاية لا وسيلة على تعلمهم
في الكلام على الغايات والوسائل فصرفوا الاشياء عن أوضاعها وحرّفوا الكلم عن
مواضعه فأصبحوا لا قيمة لهم ولا احترام وقد كانوا اجلاء مكرمين وصناعهم من
أشرف الصناعات

وقد اعجبني طريقة المؤلف في التراجع فهو يذكر اسم الرجل ونسبه وموطته
وتخصيله وما تفرد به وما قم الناس منه وما وقع له مع أدباء عصره ويثبت له ما يؤثر
من شعره كل ذلك بأسلوب سهل حسن الانشاء ولطنا نشر في المنار المناظرة التي
جرت بين نبي بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي النحوي في
تفضيل النحو على المنطق وهي مثبتة في هذا الجزء عسى ان يكون في نشرها عظة بالغة
لنحاة عصرنا

وياقوت الرومي هذا أعرف من أن يعرف وهو مؤلف هذا المعجم ومعجم
البلدان ومعجم الشعراء وغير ذلك من الموسوعات التي تعجز عن تأليفها الجماعات وهو
من الشعراء المجيدين ومن احسن ما يروى له قوله :

تنكر لي مذ شبت دهري فأصبحت مطرفة عندي من التكرات
اذا ذكرتها النفس حنت صباة وجادت شوون العين بالعبرات
الى ان اتى دهر يحسن مامضي ويوسعني من ذكره حسرات
فكيف ولما يبق من كأس مشرني سوى جرع في قعرها كدرات
وكل إناء صفوه في ابتدائه ويرسب في عقباه كل قذاة

والكتاب مطبوع طبعا نظيفا على اجود ورق . ومجلد تجليدا متقنا وكنا نتمنى ان
يضع الناشر ارقاما لترجمين تدل على عددهم في كل جزء فإن ذلك من المحسنات

وان يعني بوضع فهاوس لجيم الاعلام والبلدان الي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع مالمديه من الاجزاء وانا نشكر له عنيته بنشر هذا السفر العظيم فقد خدم بذلك لفتنا الشريفة أجل خدمة

* * *

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كتب قطعاً ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجلها ومعانيها مما يحفظ ويقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يحبون التتميق والتزويق وتبهرهم زخرفة اللفظ وغر الكاتب تلك النعوت التي كانت تقع بها جريدة المؤيد فسارع الي جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسمه وبنرجمة له ملأت قسماً كبيراً من الكتاب !!

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد وبضع مقالات فلم نعرف له منحى خاصاً يتوخى القصد اليه فيما يكتب وينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع للصناعتين ليس من سراق الشعر فقط بل هو من سراق النثر أيضاً ومن قرأ مقاله « مدينة السعادة : ص ٣٨ » التي يدل بها ويفخر وكان قلوباً قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي أنطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اختصها من سواه وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التخيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب ، وكذلك مقاله « غرفة الاحزان : ص ١٤٣ » فلها ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لقولا افندي الحداد، ومقالته « ابن القضيبة : ص ١٥ » مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضاً، ومقالته « الكأس الاولى : ص ٥ » اخذ موضوعها من قصيدة للشيخ نجيب الحداد عنوانها « في الجرعة الأولى البلاء : ص ٥٧ ج ١ » من القسم الشعري من كتاب مجالي الغرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى وبعضها معنى ولفظاً كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقة لكلمة زوج صخر اخي الخنساء « اني اصبحت لا حياً فأرجى ولا ميتاً فأنسى » (ص ٢٨) وسرقة لبيت البكري المعروف

أشعة في الرأس أم أول خيط الكفن

أخذه فقال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص ١١٥) وقد كنت نصحت المفلوطي يوم كان شامرا ان يتجنب السرقة في شعره وذلك في مقالة نشرتها في (ص ٣١٨٥٩) من المقتطف بعنوان « قد الشعر » بعد أن نشر في المفلوطي قصيدة عنوانها « من القصر الى القبر » (ص ٢٥) من مقدمة النظرات اثار بها على اربعة ايات من قصيدة المرعي التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده » وحشرها بين بيوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يصل بنصحي لأنه لو عمل به لكان اليوم مقبرا من النوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار غيرة وأساليب سواه.

وأريد أن أنه هنا الى أمر ربما خفي على أولئك الخدوعين بلفظ المفلوطي وهو ان كتابة المفلوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة « الغد » (ص ١) وهي من أشهر مقالاته فانك تجده جال فيها في دائرة ضيقة لم يخرج بها عن قول زمير واعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكتي عن علم ما في غد عمي وأية فائدة يجني القارىء من حكاية أقوال في الغد خلاصتها انه أمر غيبي لا يعلم ما سيكون به الا الله تعالى ؟ على انه قد سرق أكثر معانيها من مقالة فيكتور هوجو في نابليون الثاني راجع (ص ١٠) من كتاب بلاغة الغرب ومقالة « المستقبل لله » (ص ٩٨) من منتخبات الشيخ نجيب الحداد وان مقالة « العلماء والجملاء » (ص ٣٢٣) التي يفضل فيها خطط السوق الذي يسميه علما على تحقيق الطماء والفلاسفة دليل على انه لا يعرف من العلم الا تمحلات الازهر الفظية التي عرفها فالفها ومن ذا الذي يستسهل الزعم بأن اختراع التلفزيون واكتشاف الكهرباء والراديو وغير ذلك مما لا محل لذكره هو دون ما يقع من الكلمات الصحيحة في هذيان الدعاء ولنظهم ؟ وكذلك مقاله « يوم الحساب : ص ١٠٦ » فانها لا تخرج عن فحوى قصة من كتاب قصص الانبياء وغيره من الاسرائيليات المدسوسة على الاسلام وأتمته من حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن وان على قلوبهم حسنة فذة مع ان الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا إنهم عن

وهم يومئذ محبوبون . ثم انهم لصالو الجحيم ، ولكن المنلوطي يصادم هذا النص الصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين محرطلا في حياض الآثم أكثر ممن وصفه المنلوطي بقوله « لا يقي مأثما ولا يهاب منكراً ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجمان مجامع الفسق الاعلى موعدا القاء » (ص ١٠٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لأنه كان يجود على رب امره معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضى لا نظام لها جلت حكمته وتعالى عن وهم الواهين علوا كبيرا . ومما دلنا على أن آداب المنلوطي ليست على حال من الكمال يضبط عليها وأن علمه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناجيان ويقول اولها لا آخرها انك أفسدت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تهجي الاسلام قتله وليس هذا القول مما يفتخ مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المنلوطي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام وكم من عائب قولاصحيا وأنه من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة « الشعر البارد : ص ١١ » وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شفه الزائد بالشعر وأنه يسمي الشعر الذي لا يستحسنه « الشعر البارد » فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدة ويسمى « المختارات » ؟

وإذا كان هذا شأن مختارات المنلوطي من قافه الموضوع وسخيف المعنى فإذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنه الظانين أن المنلوطي لا يقيم القلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذا كر كلمات وقعت عليها عيني عرضا وانقلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميت : ص ٧ » اراد بها الميت وهذا غير ذاك ، واستعماله كلمة « بسطة : ص ١٢ و ٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، و« البسطاء : ص ٨٩ و ٩٠ و ٤٠١ » يريد الأغرار ، و« البساطة : ص ٣٩٩ » بمعنى الفرارة وهو استعمال غير صحيح ، و« ايراده كلمة « فقيم : ص ٢٥ » و« ص ٢٥ مقدمة » والصواب فخم من دون ياء ، وتذكيره للكأس « ص ٢٧ مقدمة » و« ص ٣٠٧ » والكأس لا يجوز تذكيرها البتة ، و« ايراده مصدر

جاء يائياً « ص ٣١٥ » وإنما هو واوي، واستعماله كلمة الرياضة أو الرأس مكسورة الرأ^١
تليها همزة « ص ١٥ و ١٣ » وهذا خطأ محض ، وجمعه لبأس على بؤساء « ص
٣٩٧ و ٨٧ » ، والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بأسون وبأسين، وقوله
« غفوت اغفائة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفائة وقوله « يخلق الطير
ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع، وقوله « جهل مشين : ص ١٠٣ »
والصواب شأن لان الفعل ثلاثي لارباعي ، وتذكيره للسن « ص ١٥٥ » وإنما هي
مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من التخصيص مانصه « والسن مؤنثة
والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر ، وتأنيثه للرأس « ص ٨٤ » والرأس
يجمع على تذكيره (راجع تاج العروس : ج ٤ ص ١٥٦) وادخاله «ال» على «كل»
« ص ١٥٦ » وقد قال في اللسان « انه لم يجيء عن العرب ، ولا يعني هذا اجازة
بعض المتوسمين لذلك

ومن قراءته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصيح قوله « لتحققت
انه ابه الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انه جم البلاهة ، وقوله
« وكما ان في اغنياء الجيوب قراء الرووس كذلك في قراء الجيوب اغنياء الرووس
ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الاستاذ الامام
الفصيحة المأثورة « لاتي في شغل شاغل من هؤلاء المرزوثين في عقولهم أولا وفي
بيوتهم ثانيا » (ص ٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الاستاذ الامام ، وقوله « كان كل ما في المسألة :
ص ٧٨ » وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء ، وقوله « فما
خلصت من بينهم : ص ٨٤ » وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لا معنى لها هنا
لان معناها نجيت وإنما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجى ولم يكن منجيا لسواه
هذا ما رأينا ان تنبه اليه من خطأ المنفلوطي وهو ما عثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب
نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال
دع ان اذكر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا
وقد تذكرت الآن كلمة لعزير مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة
حكيمية : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الاستاذ الامام في حجرة

خاصة يناوذه في شوون هامة فجاءه واحد من رجال جاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سوكم ليتلو آيات التهنئة فقال له الامير « انا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار » هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنفلوطي واشياعه كثيري الاصفاء اليها ليطهروا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلا يستطيعه مثلي وقد ذكرت آفائه نشر نفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شوون خاصة لا يعرفها الا المترجم نفسه!! اصف الي هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد على انا تترك ما يمكن ان يكون فيه مجال للقال والقيل والنمحل والتأويل ونرجع بالتقارى الى مقالة المنفلوطي « طبقات الشعراء » التي نشرها في (ص ٢٧١) من السنة الثانية لمجلة صركيس من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه قبله ما يأتي بنصه وقصه:

« المنفلوطي : شعره كالعقود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يجلب بروائعه اكثر مما يجلب ببدائعه وهو ازهري وحسبه انه نابتة قومه!!! » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٢٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتمداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لأنه سنى نفسه نابتة قومه الازهرين وهو لاء من مصاص الازهرين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ماتعطي وافضل ماتهب » (وعسى ان يتاح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لولفته عظة بالغة

الانسانية

« مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حماء الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الذهن وحب العلم وقد اتدب خلدمة امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنتين وثلاثين صفحة باقطع الصغير وقيمة اشترا كما في البلاد العربية ريال وربع كتب الله لها النجاح

« هذه الفترة للإستاذ الامام الشيخ محمد عبده

العلم

« مجلة نخدم العلم والدين وتبحث عن أصول الترقى ماديا وأديا » لمنشأها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من أعلام علماء النجف (العراق) وشهوري كتاب العصر هناك وهي تصدر بثماني وأربعين صفحة بالقلم الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والعلمية والأدبية وقد اعجبنا من منشأ قوله في مقدمتها « ولدنا الانتقاد الصحيح خير من الأطراء في المدح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشترى كما ريال وربح فترجو لها الانتشار

التليذ

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة الثمانية بيروت » وقد سررنا كثيرا بصدور هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتربيت التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجعون لتهضة وطنهم واعلاء شأن أمنهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة تصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو وقيمة اشترى كما ريال وربح فترجو ان ينبي قارئوها ويكثر مشركوها

الذكري

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التير من مهذبى نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكري) غرضها ارشاد المسلمين الى اتباع الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من علمية القوم ونحن نعرف التير خيرا فاضلا مطالما فترحب بمجلة ونرجو أن يوفق للخدمة الصحيحة

حسين وصفي رضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إيقاظ الفتن في البلاد العمانية ﴾

مناجاة ودعاء

اللهم العطف بهذه الامة وبدولتها واحفظها من قن المفسدين في الارض، اللهم اطلع عنها السقم، وكف عنها كيد اقلامهم، اللهم انك تعلم ان المخلصين قد بذلوا جهد طاقتهم في التصح وإصلاح ذات الين وسعوا الى ذلك من كل طريق يروونه نافيا، اللهم اننا لانك بعد حسن القول والسعي الا الاستغاثة بك ودعاك فلا يفتننا مكرهم السيء، ما نرجو من لطفك وعنايتك، اللهم انه لا يخفى عليك كيد الذين يفسدون في الارض وينبزون المصلحين بقب الافساد، ويقنون العداوة والبغضاء بين عبادك ويهيون بعلمهم السيء، من يعملون الصالحات بالتأليف بين القلوب وجمع الكلفة على الخير، اللهم انك تعلم ان من هؤلاء من يفوق سهام كيده ومكره للأمة العربية التي شرقتها وفضلتها بنحائم أنبيائك ورسلك وخير كتبك المنزلة لمداية خلقك وخطبت سلفها الصالح بقولك الحق «كنتم خير أمة أخرجت للناس»، ولكل من تبع ذلك السلف من الخيرية بقدر اتباعه لهم، اللهم انهم حسدوها أن جعلت كتابها عربيا مينا فهم يريدون ترجمته ليكون عرضة لتحريف المحرفين، واختلاف المتقين، اللهم انك أنزكت لتجمعهم عليه، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه، اللهم انه حبك المين الذي امرتنا ان نصمم به ولا تفرق عنه بقولك (١٠٣:٣) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهو بيناتك التي قلت فيها (١٠٥:٣) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات) اللهم انهم يزعمون ان رسالتك

(المارچ ٥ م ١٣) ايقاظ الفتن في البلاد العثمانية ٣٨٥

خاتم رسلك ماتمت الي الآن ، وانها لاتم الا بترجمة القرآن ، وانت قلت وقولك الحق (٥ : ٣ اليوم اتممت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) اللهم انهم يزعمون أن دينك لم يتم بالحجة والبرهان ، وان نبيك (ص) كان يكره الناس عليه بالسيف والسنان ، وانت قلت وقولك الحق (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين - ١٠ : ٩٩ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ ؟

التصد

بيننا في أول مقال كتبناه عن الانقلاب العثماني واستبدال الحكم النيابي بالحكم الشخصي المطلق انه يخشى في هذا الطور الجديد الذي دخل العثمانيون فيه من هاقبة اختلافهم في الاجناس واللغات والاديان وجددنا في التأليف بينهم سعيًا جديدًا غير ما كنا نسعى اليه سرا في جمعيتنا (الشورى العثمانية) المؤلفة من جميع العناصر العثمانية . ظهرنا بالتأليف الجهرى فخطبنا في كنيسة الأرمن في القاهرة خطبة جعلها الاخلاص مؤثرة في نفوس حاضر يها من العثمانيين المحتفين في الاديان والمذاهب حتى قال لنا فارس افندي نمر محرم القظم يومئذ ان هذه الخطبة وحدها تضاهي عملك في التأليف والوقاق مدة عشر سنين . ثم سحنا في البلاد السورية وخطبنا مرات عديدة في ذلك وتكلمنا وكتبنا كثيرا ورأينا لعلمنا وعمل غيرنا تأثيرا حسنا اعان عليه في تلك البلاد ذكاء الأهالي وأخلاقهم الحسنة

بيننا نحن نرى الولايات السورية أهذا الولايات العثمانية وأشدّها اغتباطا بالحكومة الدستورية ونرى من البلاد العربية كالبحرين والحجاز وقد هدأ ما كان يقع فيها من الكفاح والنارات فصارت اشد خضوعا للدولة من ولاياتها الاوربية التي هي مهد قوتها وعظمتها فالعاصمة نفسها مكومة بديوان الحرب العرفي والدماء تفضب ولايات الارنووط ، ومقدونية تتمخض بما تتمخض به ، - بيننا نحن على ذلك واذا بفراب ينبع من أول هذه السنة المجرية بصوت عربي غربي غريب يخشى شره ولا يرجي خيره

صاح الفرور يفر العرب ويغريهم باخوتهم الترك : يقول ان العرب هم الحاكمون (المارچ ٥) (٤٩) (المجلد الثالث عشر)

٢٨٦ إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية (المارچ ٥ م ١٣)

والترك هم الخادمون ، ويطرئ الأمة العربية بالشعريات التي تحمض النفوس الى طلب ما لا يطلب ونيل ما لا ينال ، ولم يفهم احد من العرب معنى كونهم هم الحاكمين والترك هم الخادمين الا ان الكاتب يفهمهم ان الامر يجب أن يكون كذلك وانه عليهم أن يطلبوا هذا الواجب ، لأن الأمر في الواقع ليس كذلك ، ولكن هذا التحرير لم يؤثر في اغراء العرب لا لأن قائله منهم عندما يفضله إياهم بل كان له دافع آخر من نفوسهم وهو اعتقادهم ان الترك اخوتهم في الدين وحكامهم الذين رجسوا باعلان الدستور الي هدي الاسلام بمشاركتهم إياهم في الحكم فلا خادم في العناصر ولا مخدوم ، وما القول بذلك الا من نزغات الشياطين ووساوس المفسدين

تهافت قول هذا الناعق وتناقض فهو تارة يطرئ العرب ويغلو في مدحهم ، وطورا يمرض او يصرح بالظعن في جميع الظاهرين منهم كأمر مكة المكرمة والمبعضين وطلاب المناصب والخدمة في الدولة والكاتب الخادمين للدولة من طريق خدمة العرب اذ يكتبون بالعربية - وتارة يدعي انه خادم الاسلام وناسر دعوته ومبتمني ارتقائه بارتقاء العرب ثم يدعو الى ترجمة القرآن بلغة المسلمين ليستفوا عن القرآن لمنزل من عند الله تعالى ، ويزعم ان الاسلام قام بالا كراه كما أشرنا الى ذلك في المناجاة التمهيدية وهذا أشد مطعن يسده الاوربيون الى قلب الاسلام، ويذكر سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر النبيين) بلقب رجل يهودي وبهذا كله يخص بطعنه الصريح من قضي زهرة عمره في خدمة الاسلام والدفاع عنه هناك ما هو شر من ذلك وهو السعي في مقاومة المشروع الاعظم لخدمة الاسلام وهو إنشاء مدرسة دار العلم والارشاد التي يترى فيها الوعاظ والمرشدون يقوموا بما أوجبه الله تعالى من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العامة عقائد الاسلام وآدابه وأحكامه مع التنبية الى مصالح الدنيا كترقية الزراعة وكل ما ينمي ثروة الأمة ويمزز الدولة . فقد حدثني الثقة ان شيطان الفساد بعد ان مدح المشروع قبل ان يقرر عاد الى التنفير منه بعد ان علم بأنه تم او كاد فهو ينفركل من يظن انه يساعده على هذه المقاومة بما يرى انه يصيب موقع التأثير من وجدانه والاقناع من فكره : يقول للملاحدة ان تأسيس مدرسة إسلامية عربية في الآستانة

(المارچ ١٣٠٥) إيقاظ التن في البلاد العثمانية ٢٨٧

يجعل للدين قوة ممنوية «جزويتية» تقضي على حريتك وتذهب بجميع مقاصدكم!!!
ويقول المتعصبين مثله للجنسية ان هذه المدرسة تقوي اللغة العربية ونحيتها تترام
التركية في عرشها الاعلى!!! ويقول للتدنيين الجامدين ان هذه المدرسة
تحي علوم التفسير والحديث والفلسفة فتفسد عليكم التعليم المقرر في مذهب الامام
الاعظم!! وينفر بعضهم عنها بالظن في شخص الداعي إلى تأسيسها وكأنه لا يدري
اننا نطالب ان تؤسسها جمعية من الفضلاء والطاء وان يكون التعليم فيها بما يرضونه
ويختارونه ويكون أيضا بمراقبتهم الدائمة، فهل يضر المدرسة مع هذا ان يصدق
الكتوب ويكون الظن في شخص الذي نبه الى هذا العمل النافع صحيحا؟

إذا كان خذلان مفسدي المسلمين لصالحهم قد وصل الى هذه الغاية فهل يستبد
بعد ذلك شيء مما ذكرنا عن غراب التفريق والتكثيف؟؟ ماذا كرمشروع (العلم
والارشاد) لعالم ديني أو غير ديني ولا عاقل عربي أو أعجمي مسلم أو غير مسلم مستمسك
بدينه أو متهاون فيه الا وأعجب به واعترف بفائدته وقضه وبأنه لايجل محله سواء
في فائدته ومنفعته حتى ان بعض الملحدين قال اننا نحب ان يتعلم الاسلام على وجهه
فلن المسلمين يكونون بذلك أقرب الى الترقى الذي يهدم عنه المتعصبون باسم
الدين، كما يكونون أبعد عن إيذاء المخالفين، وأما سائر الوسوس نفاخرة البطلان
بلقي خبر هذه السماية فكان اول شيء سبق الى ذهني عند سماعه فآخه كلام
نشر في جريدة العروة الوثقى وهو على ما أتذكر

« أسف يهجر الجسم وحسرة تذيب الابداد على قبيل من أمة، أو شخص
منها ذي همة، يستخير الله في عمل يتقده أمته من ضمة، أو يعود عليها بمنفعة، ثم
يرض له في اثناء عمله من ينجم كقرن المعز ليقا عين العامل ويعرقل عليه عمله، الخ
وتلا هذه الذكرى في خاطري ما كنت سمعت من الاستاذ الامام محرر تلك
الجريدة (العروة الوثقى) في هذا المعنى رحمه الله تعالى: واقهاتي ما تثبتت بخدمة
للإسلام أو المسلمين وقاومني فيها أحد من غير المسلمين، ما قاومني في شيء من ذلك
انكليزي ولا قطبي ولا سوري مسيحي وإنما بقيت مقاومة كثيرة من المسلمين أنفسهم
في خدمة الاسلام والمسلمين!!

٣٨٨ إقطاء الفتن في البلاد الصمائية (المارچ ٥ م ١٣)

نعود من هذا الاستطراد الى أصل الموضوع وهو إقطاء الفتن في البلاد الصمائية فنقول ان ناعق الفتنة لم يكتف بتغريز العرب وإغرائهم باخونهم الترك بل عمد إلى إلقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى منهم ففتح روح المصيبة الدينية في الفريقين فجرح كل واحد في دينه جرحا داما ، وأغرى كلا منهما بالأخر ومزق نسيج الوحدة الجنسية بينهما بإيهامه من يقرأ كلامه من النصارى انه يتهمك بدينهم يتكلم باسم الاسلام ويرضي المسلمين وبانكاره ان يكون النصراني عر يامع علمه ان النصرانية كانت في العرب قبل البعثة المحمدية كاليهودية . ويرى القارىء في فتاوى هذا الجزء سوالات عن حديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » أي يحفظه ويؤيده . وما رأيت ولا رأى الراؤن اسخف من اختراع هذه العلة للتفريق أي جعل العربية والنصرانية ضدتين لا يجتمعان ، وناهيك بسخافة يتقصها الصبان ،

اطلنا على ما كتبه في ذلك موقف الفتن فإدرانا الى مقابلة الضد بصدده ، ومقاومة الشر بالخير ، والقذف بالحق على الباطل ، فكتبنا مقالة في تذكير أهل سورية وبيروت بما فيه خيرهم وخير دولتهم من الوفاق والوثام ، ونشرناها هنا في جريدة الحضارة وسيراما القراء في المثار السادس ، وزجوا ان تكون دافعة لباطل موقف الفتن ، لا تهاجبة داخنة كشيته التي اخترعها خياله ، وناهضة في بيان ان مسلمي العرب يتبرمون من كل وسوسة تفرق بينهم وبين اخوتهم في الوطن والجنس واللغة والمصلحة والتابعة الصمائية كما يتبرأ الخير من الشر ، والنفع من الضر ، وان موقف الفتنة لم يترجم عن ضمايرهم ولا قال ما قال بالنيابة عنهم وهو ليس منهم وان كان يمزقنا أن وجد منهم من يترجم عنه ويكتب له ما يريد بأسه واسم نفسه ، وهو لم يقل ما قال ايضا باسم الاسلام وقد علموا انه جنى على الاسلام أكثر مما جنى على النصرانية ، وينبغي ان يبرموا الحكومة الدستورية من الأقرار والاعانة على هذا الفساد وان شاع انها تساعد هذا الفساد على عمله فان صح ما يقال من مساعدتها إياه ، فلا بد ان تكون المساعدة لزمه انه يعضد الإصلاح ودعواه ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

كل من اطلع على ما كتبه المفسدون يعرف من يقصد منهم بهذا الكلام اذ

(المارچ ٥ م ١٣) المسلمون في روسية وسياسة الحكومة ٣٨٩

لا ينطبق على كثير من المفسدين ولو كان كل الفاتنين كن ذكرا ففسدت الارض وهلك الناس ، ومن لم يظلم عليه ولا وصلت اليه وسوسته فخير له ان لا يعرفه ، على انه اذا ظل سادرا في إفساده، سادلا اذبال غروره وعناده ، فسنتقل الكلام من حينه الى ايام ونأني بالشواهد والنصوص من كلامه المؤيدة لما قلنا تحذيرا من كل ما يكتبه وما يقوله ، ولعل ديوان الحرب العرفي يكفينا ذلك بمنه من أمثال هذه الفتن قبل ان يظهر أثرها الرديء فان الرجل وإن كان متهما بسوء النية عند جميع العرب يخشي ان يؤثر كلامه في بعضهم أو يكون سببا لسوء ظنهم بحكومتهم الدستورية وفقها الله لكل اصلاح ، وجعل أيامها الدائمة ان شاء الله تعالى أيام خير وفلاح

المسلمون في روسية

﴿ سياسة الحكومة ﴾^(١)

أيها السادة : سأبحث لكم عن سياسة الحكومة مع المسلمين . لست اجد حاجة للبحث عن سياسة الحكومة العامة بعد خطابات ما قلاقوف وغيره من المبعوثين . واني اعلم ان السكوت والكلام سواء لأن الحكومة والنظار لا يعبرون اسماعهم لنداء الامة ولا سيما للمسلمين ولكني اراني مضطرا الى الكلام خشية ان يحمل سكوت المسلمين على رضام بحالة القوضى الضاربة اطنابها في كل مكان

أيها السادة : اني غير ذاكر لكم الحوادث المؤلمة النازلة بالمسلمين ولا سيما اطفال المدارس وطرد المعلمين وائمة الدين واحدة واحدة ولكني سأبحث عن سلوك الحكومة هذه السبيل . أيها السادة : ان المسلمين متضررون وواقفون تحت حيف الحالة الحاضرة والاختلال في روسية وان مسألتهم وضعفهم وحلهم كل ذلك جعلهم عرضة لمصائب ورزايا اعظم وأكبر (هرج ومرج في المجلس)

(١) خطبة لصدر الدين الهندي مقصودوف القاها على اعضاء مجلس الدوما بروسية منقولة من مجموعة مذاكرات المجلس وقد نشرت في جريدة ترجمان التتيرة التي تصدر بياغجه سراي ونمن نشرها مترجمة بالربية

الرئيس : ارجو التزام السكوت والسكون

مقصودوف : ان مصيبة المسلمين بالمشرين هي اعظم ما ينقص حياتهم وقد تتولى الدهشة وبقاءنا اعضاء المجلس لهذه الشكوى ويقولون كيف تستاون من بضع مئات من الرهبان والقسوس وهم لا يرغمونكم بالقوة على قبول دعوتهم واتصال دينهم بل ينشرونها بالوعظ والارشاد ولكن لو اقتصر الامر على ذلك لما تضررنا ولا تدمرنا ولكنتا نتضرر وتتأفف لا لدعوة بضع مئين من الرهبان والقسوس ولكن لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك . فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل يتفقون من وراء ذلك صبغنا بالجنسية الروسية . فنحن لانشكركم وعظيهم وارشادهم ولكن من مآرب الحكومة باتخاذهم آلة لما لتنفيذ اغراضنا . لا يخفى عليكم جيما ان الحكومة في سياستها للمسلمين منذ نحو عشرين او ثلاثين سنة كانت على خطة « بويدانوسجف » وكذا كان هذا واعظا كان ايلينسكي مبشرا . فصلا بأفكار هؤلاء اقلت مدارسنا وضيق على ظهور صحافتنا ثم املنا عقب اعلان المساواة الدينية والمدنية في القرار العالي بأن نتجو من وطأة الرهبان واغرائهم الحكومة بنا ولكن خاب منا هذا الامل لان الحكومة لاتزال تصفي وتعمل بما يمله عليها الرهبان . وما تريد أن تعلمه من احوال المسلمين ترجع فيه الى الرهبان . وما يجدر بالتأمل في مثل هذه الامور التقرير الذي رفعه المسيو « الكسي » ناظر مندومة الرهبان العليا في قزان الى نظارة الخارجية ولو وقف الامر عند هذا الحد لاضربت عن ذكره ولكن دائرة الاديان الاجنبية من نظارة الداخلية تهتم به اهتماما عظيما وما يستدعي النظر انه قد آلفت جمعية غايتهم الوقوف على حركة المسلمين والحيولة بينهم وبين آمالهم الملية . واليكم فكر الناظر « الكسي » وملاحظة « ان مسلمي روسيا منهمجون سبيل الاتحاد الاسلامي وهم يؤسسون المدارس والجرائد والمجلات ويقبلون على التعليم وبالاختصار فهم داثبون وراء استنارة افكارهم وترقية مداركهم وغاية ذلك الاتحاد الاسلامي » ولا اصل علي ما أعلم لما يذكره ذلك الراهب من انتشار فكرة الجامعة الاسلامية بل ان استنارة الافكار والسعي وراء الترقى لاعلاقة له بذلك كما لا يخفى ثم ان الاسلام في نظر المسيو « الكسي » عبارة عن الجهاد وسفك الدماء وبزعم ان

الثابتة الحديثة نستحسن هذا الأمر فاعلموا أيها السادة ان حكمة الاسلام وسيرته تقضان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقى والمدنية والتأريخ شاهد على ما قامت به بغداد والاندلس من رفع منار العلم وما يتفیه المسلمون ليس الأئمة الاسلامي وانما الترقى والمدنية واصلاح حالتهم الاجتماعية فان كان هذا مما لا يرضى عنه الراهب فذاك أمر آخر .

ثم اذا كان المسلمون ينشئون الجمعيات الخيرية فأبي دخل لهذا الجامعة الاسلامية؟ إن كل من يظن ان لهذا الراهب الذي قدم تقريره لنظارة الداخلية وقوفاً على احوائنا فهو مخطئ، لانه يجعل لتتنا وكل ما كتبه عنا مترجم مما كتب بالفرنسية . ونظارة الداخلية تبني سياستها نحونا على امثال تلك الكتابات وهي آخذة في وضع خطة جديدة نحو المسلمين وبها تريد تفریق الدين عن القومية فهي لاتهاجم دينهم الاسلامي بل هيتهم القومية . أيها السادة : ان الدين والقومية واحد في المسلمين ولا يمكن تفریق احدهما عن الآخر ولم يتوقفا منذ عصور وفي موقفي هذا قد اعلنا وأعلن رفقائنا مرارا وتكرارا أن مسلمي روسيا انما هم شعب مسلم اي انهم ليسوا روسيين مسلمين فهم أمة يجدر بها ان تعيش كأمة وقد قلت ذلك ولا أزال أعيدته حتى يلجم لساني ويكم في ا

وسنحافظ على قوميتنا محافظة لانخرج بها عن دائرة الاخلاص لتأبينا فنحافظ على لتتنا القومية وسندأب على ترقية شأنها ورفع آدابها شأن كل الامم واني اصرح للحكومة بأن كل ما يضمنونه في سبيلنا من العقبات والموانع وما يعدونه من التدابير سيكون عقبا . لانا نعد المعارضة قوميتنا تصد لدينا وعلى ذلك فلا الحكومة ولا دائرة المذاهب الاجنبية تقدر أن تفصل ديننا عن قوميتنا وان تضعف احدهما ونحمد الثاني . فنحن سنعيش أولا كسليين وثانيا كشعب بقوميات خاصة في روسيا واني واثق اننا سنقاوم التدابير الجديدة التي تعدها دائرة المذاهب الاجنبية ضدنا بنفس الروح التي اظهرناها في مقاومة «ايوان غروزني» الذي حاول تصغيرنا بالسيف . ايها السادة : اني اختم كلامي بأن أعلن باننا نحن مسلمي روسيا سنعيش كشعب حر في روسيا الحرة . (تصفيق في الجناح الايسر)

تعصب أوروبا الديني

(ازام النساء والجر لمسلمي بلادهم باتباعهم في أحكام الزواج والطلاق)

نشرنا في المجلد الماضي (ص ٤٣٨ و ٤٩٩ و ٨٥٦) وفي غيره نبدأ ومقالات بيننا فيها ان الفارق في التعصب الديني منبته أوروبا ونحن في كل آن نرى الآيات والشواهد على ذلك من غير تتبع ولا استقراء . من ذلك ما رأيناه في هذه الايام في جريدة (صداي ملت) التي يصدرها بعض روم الاستانة باللغة العثمانية هنا (الآستانة)

وماذا رأينا فيها ؟ رأينا عجباً رأينا ان الحكومة قررت أن دين المسلمين لا يتفق مع مدينتهم في احكام الزواج والطلاق لانه يبيح تعدد الزوجات فيجب لإزام المسلمين واكرههم على اتباع محاكم الدولة في ذلك وعدم السماح لهم بجعل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع الى محاكمهم الشرعية التي كانوا يحكمون فيها بما يتعلق بالامور الشخصية !! ولا يبعد ان يمنعهم بعد زمن قريب أو بعيد من الحج لان فيه مشقة أو تعرضاً للعرض وهم لشدة جهم المسلمين يحولون بينهم وبين ما يؤذيهم !! ومن الصوم لانه مانع من حرية التانذ الذي هو متعنى الحظ من هذه المدينة !! ومن الصلاة لان فيها اجتماعاً على غير ما تحب الدولة العادلة !!

لو فعلت هذه الفعلة التي فعلتها النساء الحكومة العثمانية أو حكومة مرا كش أو الافغان قامت قيامة أوروبا وأمريكا والعالم المسيحي كله حتى التاجين للحكومة الاسلامية التي تفعل ذلك وتجاوبت اصداؤهم بالصياح والشكوى من تعصب المسلمين والتعريض على ابادتهم من الأوض فاعتبروا ايها المنصفون !

(اعتصاب الزيتونيين) اعتصب طلاب جامع الزيتونة بتونس عن تلقي الدروس طالبين تضييد الحال بما بنجح الاعمال وينفع في الحاضر والمآل وبعد ان كادت تحذهم السياسة نصرهم الاتحاد فاجيبوا الى معظم ما طلبوا وقد كنا كتبنا مقالة نرحب فيها بهذه النهضة فلم يتسم لها هذا الجزء

(الانكليز في بلاد العرب) كتبت التيمس مقالة فيها تلويحاً بنبيء عن تصريح بما توجهت اليه عزائم الانكليز من العمل في بلاد العرب فسي ان تستيقظ الدولة وتصيخ الى هذا الصوت لال صوت ذلك للوسوس المفرق ولعلنا ننقل المقالة في المثار السادس ونقفي عليها بما يمن لنا من النصيحة

الفصل الحادي والعشرون*)

(الدليل القلي)

اقتداء الناس به منهم يهض أمر قد أفته طباعهم عظيم الالفة. وربما كان من سنخ غرائزهم ، ومن مادة تصورهم ، اذ رأينا عريفا في مرافقة الاجيال، والتنقل في الانسال، وموغلا في الرسوخ والاستقرار، والدوام والاستمرار ، لا يزحزحهم شيء عنه ، ولا يفصل بينهم وبينه فاصل هذا الاقتداء تقع البشر كثيرا ، واضر بهم كثيرا ، فاما نعمة ايام فلان الاكبر سنا ، والاكثر فهما ، والاشد قوة ، والاغزر تجربة ، يجمالون المقتدين بهم يتدثون حيث انتهوا هم ، ويهدون لهم ما لا يستطيعون أن يهدوا لانفسهم ، ولو بقي الطفل والنبي والضعيف والفرخاين من طبيعة الاقتداء لراحت اكثر التجارب والاختراعات والتفكرات والاعمال العظيمة سدى ، ولولا الاقتداء لما تعددت الاعمال والصناعات، ولا كثرت البدائع ، ولا ارتقى التمدن ، ولا نبى العمران، ولا سما النظام . وأما اضاراه بهم فلانه ساق أحيانا الى الاقتداء بالجاهلين والفسدين ، ووقف أحيانا بأقوام مع ماسن لهم اسلافهم وقفة الصخور ، وجعلهم يجرمون مما يأتي على أيدي الحكماء من الهدى متى خالف ما عرفوا من قبل ، وان اصبحت ما عرفوه منكر الذي أهل زمانهم أجمين

البحث عن نفعه واضراره ، ووضع الموازين للدرجات فيه، لا قرابة

*) تميم لا نشر في (ص ٢٣١ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهرابي
(المنار ج ٥) (٤٨) (المجلد الثالث عشر)

بينه وبين موضوعنا ، ولكن أخاذ الناس بمض كلام الآخرين من جملة الادلة هو الذي حملنا أن تقدم هذه الكلمات في وصف مراقته وبيان أن بعضه نافع كما وقع للسيدة « خديجة »

• • •

كان للسيدة « خديجة » ابن عم قد شبع من الاعوام ، وارتوى من حديث الانام ، قد تعلم العبرانية وقرأ بها الاسفار ، وعرف بها الاديان ورضي بدين ابن صريم (عليه السلام) دينا وهو « ورقة بن نوفل »

هذا الشيخ الجليل كان جديرا أن يكون اماما لخديجة فتحذوقه حجة وهدية ممتصا لان هناك وجوها كثيرة تدفع عن نفسها الريب بأن هذا الرجل أعلم منها بهذه الامور وانه لا يصدر عنه الا النصيح لها . فهو بالدرجة الاولى ابن عمها بل بحسب السن مع القرابة هو في مقام ابيها ، فلو أن ورقة فشاخ مخادع لما كان منه الغش والخداع لبنت عمه فكيف وهو مستمسك اذ ذاك بدين ذلك الانسان المملوء قدسا الذي كان اكبرهمه حت الناس على التعاب ونعم بعضهم لبعض ، ونهيمهم عن التشاحن وايداء بعضهم لبعض . وهو مع قرابته وسمو التعاليم التي تزكت بها نفسه كان في نظر خديجة سامي الهمة جدا ذلك ما حملها على الاسراع اليه لتقص عليه الخبر وتراجع في هذا الامر الى علمه وأخذت معها بلها لتقص هو نفسه على سمعه مارأى

كان ورقة بحسب ماقرأ وعرف مصدقا بأن ليس هذا الهيكل البشري الامظهر الشيء يحل فيه هذه المدة القصيرة باذن الله وهو الروح ، وأن للروح ظهورات غريبة في بعض الهياكل ، وانه توجد ارواح من شأنها الاجتئان عن الحس والميان تتمكن من الانسان من حيث لا يشمر ، صنف منها يجب جذبه الى سبل التكمل ، وصنف منها يجب بقائه في

حضيض البهيمية ، يقال في العرية للاول ملائكة والثاني شياطين
 كان مصدقا بكل هذا ومؤمنا أيضا بأن بعض الارواح الذين هم
 الملائكة يختصم الفاطر المصورين بخصائص ومجملهم نوايس أي وسطاء
 الوحي الأعلى للذين يريد سبحانه أن تكون ظهورات الروح فيهم سامية جدا
 كان قد قرأ الانبياء وعرف مجيء الارواح اليهم وعرف أنه يقوم
 أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وأن لهؤلاء وهؤلاء علامات. فنحن للمسئنا
 ذهب خديجة الى هذا العالم المسيحي خطر يائنا أنه لا يكون سهلا تصديقه
 بقضية الروح الذي أتى محمداً (صلى الله عليه وسلم) لان يوحنا الرسولي
 يقول في رسالته الاولى «أيها الاحياء لاتصدقوا كل روح بل امتحنوا
 الارواح هل هي من الله لان أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم.
 بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في
 الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد
 فليس من الله» ولكن الذي خطر ببالنا أن وقومه صعب قد رأينا أمراً
 واقفاً فان ورقة بعد أن سأل بطل ابنة عمه بضع مسائل قال له هذا هو
 ناموس موسى أي الروح الذي جاءه . والظاهر أنه لم يقل هذا القول ولم
 يصدق هذا التصديق الأبد أن عمل الامتحان الذي أوصى به يوحنا الرسولي
 وظهرت له الدالة على أن هذا الروح من الله على حسب ما تعلم من الكتب
 نحن لاندعي العلم بتفسير هذه الكلمات التي ليوحنا ولا طريقة
 الامتحان التي أشار بها ولكن نظن أن ذلك العالم القريب من ذلك العهد
 بالنسبة الى زماننا هذا كان لا يجهل هذا التفسير . وكذلك لاندعي العلم
 بتفسير قول موسى لبني اسرائيل «ان نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من

اخوتكم، ولا تفسير الاصحاح الثاني والاربعين من «اشعيا» ولكن يظهر لنا أن ورقة قد فهم من قول موسى هذا ومن اشعيا أنه سيكون نبي من العرب يكون مقامه حوالي سلم ذلك الجبل المعروف في البلاد العربية. وهذا نص ما في أشعيا :

« ١ هوذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لا يصبح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لا يقصف ، وقبيلة خامدة لا يطفىء ، إلى الامان يخرج الحق ؛ لا يبكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الارض وتاجها ، ممطي الشعب عليها نسة ، والسا كنين فيها روحا ؛ أنا الرب قد دعوتك بالبر ، فأمسك بيدك ، فأحفظك وأجملك عهداً للشعب ونوراً للامم ٧ لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الجبس الأسورين ، من بيت السجن الجالسين في الظلمة ٨ أنا الرب هذا اسمي ومجدي ، لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد أتت ، والحديثات أنا مخبر بها ، قبل ان تثبت أعلمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة ، تسبيحة من اقصى الارض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها ، القدير التي سكنها قيدار ، لترنم سكان العالم من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليمطوا للرب مجداً ومخبروا بتسبيحه في الجزائر »

قد قلت وأعيد قولي اني لا ادعي العلم بتفسير هذه الكتب ولكني لما رأيت ورقة قال لزوج بنت عمه هذا هو اموس موسى بحيث عن منشأ

(المترجم ١٣ م) النبوة . قول بني اسرائيل بها ٢٩٧

قوله هذا فوجدت فيما ذكرت آتقان قول موسى واشعيا ما يشبه أن يكون مأخذاً فمن أراد أن يقول لي لا يفهم من قول موسى وأشعيا ما فهمت لا يجديني أسنأ على عدم إصابة ظني بخصوص ما حمل ورقة بن نوفل على قوله هذا فانه يجوز أن يكون قد عرف ذلك بغير ما ظننته . ولست في هذا المقام بندي حجاج ومناظرة اذ أنا هنا الا كاتب سيرة أجتهد باستقصاء فروع حواشيها وتفسيرها على قدر فهمي ومبلغ ما وصلت اليه من النقل وههنا مسألة جلية لا نستطيع مفارقة هذا المقام من غير أن نوضحها ونسهل فهمها على القارئ وهي ان الارواح قد تعلم بعض الاشياء قبل وقوعها اذا كشف الله تعالى لها عنها بواسطة النواميس أو واسطة غيرها هذا المعنى كان بنو اسرائيل يقولون به كما كان كثير من الامم الاخرى تذهب اليه وقد جاءت كتبهم حاملة سلسلة من أخبار هؤلاء البشر الذين كان الروح الالهي ينزل عليهم فينبشهم بما سيكون . وتبتديء هذه السلسلة المهمة في كتبهم بحديث نوح الذي أنبئ فأنبأ بانه سيكون طوفان ويغوت كل من على وجه الارض وهدى الى صنع الفلك فصار الطوفان ونجاهو وأولاده ونساؤهم وتناسلوا بعد الطوفان ثم تفرقوا ثم اصطفى الله من هذه الانسال ابراهيم^(*) وكان ينزل عليه روحاً من عنده ، وشاخ ابراهيم وزوجته سارة من غير أن يصير لهما نسل ولكن حبلت منه أخيراً هاجر جارية زوجته ونزل عليها الروح وقال لها سيكثر نسلك فلا يمد من الكثرة فولدت له اسماعيل ثم انبئ أن زوجته سارة ستعبل وتلد بمد هذه الشيخوخة

(*) ابراهيم بن تارح بن اهور بن مروج بن رعو بن فالج بن طابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح (كذا في التكوين)

٣٩٨ أساس ملك إسرائيل الوحي والأنبياء (المخرج ٥ م ١٣)

وطول هذا المقم فولدت له اسحاق وانيء ان نسل اسحاق سيكون كثيرا أيضا . وفضبت سارة على هاجر فطردتها وغلامها قتل على هاجر الروح وقال لها لا تخافي لان الله قد سمع صوت الغلام وسيجعله أمة عظيمة وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البوية برة فاران التي قال عنها موسى ان الله سبحانه تلاً فيها

وتأخذ كتب بني اسرائيل بعد ذلك بسر وأخبار من تناسل من اسحاق بن ابراهيم وأما أخبار من تناسل من أخيه اسمايل فلا تذكرها فان اسحاق يعقوب وهو اسرائيل كان الروح ينزل عليه ، ويوسف بن يعقوب كان الروح يجيء اليه

ويوسف هو سبب مجيء بيت يعقوب الى مصر وهناك تناسلوا وكثروا حتى ولد فيهم موسى صاحب الشريعة الشريعة . هذا أيضا كان نبياً وينزل عليه الروح وهذا قال لقومه « ان نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم » واسس موسى لبني اسرائيل ملكا على الوحي الروحي وخلفه بعد موته تلميذه يوشع بن نون وبعد موت يوشع بدأ الفساد والضعف يحل بهم ثم اتشلهم داود وسليمان وتناظم الملك في أيام سليمان ثم طرأت عليه بعده الطوارئ حتى زال . ولم يحل زمان من أزمنة ملوكهم وبعدها من بني أو عدة أنبياء حتى نزل الروح أخيرا على مريم أم عيسى وبشرها بأنه يكون لها ولد من غير أن يمسا بشر . وقد ولدت مريم عيسى على هذه الصورة التي بشرت بها وصار نبيا أيضا ولكن قومه كذبوه ولم يصدقوه الا قليل . وقد كذبوا من قبله أكثر الأنبياء الذين كانوا يندرونهم بزوال الملك اذا ظفروا على الفساد

أنا لا أعرف لماذا يكذب بعض الناس بأشياء هم مصدقون بمثلها ،
أو يصدقون بأشياءهم مكذبون بمثلها ، هذا أمر وقع كثيرا ووقع دائما أمام
أعيننا واسمافنا فهل التصديق والتكذيب بحسب وزن الأشخاص، وما هو
الميزان في الأشخاص ؟ أم بحسب وزن العقل وما هو سبيل العقل في التصديق
والتكذيب بمثل هذا ؟

أنا أرى أن من آمن بسعة قدرة الله ، وبجانب صنع الله، وتخذت
بصيرته لرؤية آثار روح الله ، وآمن بعجي ناموس الله لعبد موسى لا ينبغي
له أن ينكر قدرة الله في اخراج عيسى من مريم بغير واسطة بعل ، ولا
يجد به أن يكذب نزول روح الله عليه كما نزل على أخيه موسى . ومن
آمن بجانب موسى وعيسى ابني اسحاق وبنزول روح الله عليهما لا ينبغي
له أن يستبعد نزول هذا الروح على أخ لهما من بني اسماعيل

هذا أقوله للذين صدقوا بما هنالك من العجائب والغرائب الموسوية
والميسوية وأما الذين لا يصدقون بهذي وتلك ولا يحكمون الا الحس
والعقل فهؤلاء أمضي بهم الى التجارب والمشاهدات وأنا واثق أنا لانعدم في
خزائنها كثيرا مما يؤيد أن بعض البشر يخبرون عن بعض الحوادث قبل وقوعها
فإن قال لي هؤلاء نعم قد يوجد أناس على هذا النحو ولكن ليس
هذا سبب اخبار من روح كما تقولون قلت لهم اذا توافقنا في ثبوت الاصل
فلاضير علينا بعد ذلك بالاختلاف في الاسباب وأسبابها

وان قالوا لي ما الفرق بين هؤلاء الذين قد زام في أزمئتنا هذه من
هذا القبيل وبين من تحدثوا عنهم قلت لهم ان هذا الفرق ظاهر لان
الاختصاص كله من الله فهو يعطي انسا معرفة بعض الوقائع الآتية

٤٠٥ ورقة - استدلال خديجة بطله على نبوة محمد (الماراج ٥ م ١٣)

وبجمله شارحا وقائد أهم ومؤيدا بتأييد عظيم لا تحيط به المبالغة ويغطي انمانا آخر مثلا صغيرا من هذه المعرفة من غير أن يجعله شارعا وقائد أهم ومؤيدا بتأييد عظيم فالاول يقول أنا نبي أو أنا رسول ويظهر الله صدقه فيما يقول والثاني لا يستطيع أن يقول هذا وان قاله لا يظهر قوله حقا . فهل ينكر هذا الفرق الكبير ذو بصيرة لا يبدوها الا خلاص الى الله والادب مع مجالي أمره ، ومظاهر سره ٢١

لقد كان ورقة على ما ظهر لنا شديد الاخلاص متوغلا في علم الروح ومعرفة النواميس الآلهية وأخبارها ، وكان على نور فراسته من ربه وسرعة استطلاع فلما سمع هذا النبا الجديد تفرس بصاحبه وتذكر ما نقل عن الانبياء واصحاب النواميس من قبل ، وتذكر قول موسى لقومه بني اسحاق « سيعتم الله نبيا مثلي من اخوتكم » وما اخوتهم الا بنو اسماعيل فقال له هذا هو الناموس الذي نزل على موسى

ثم تذكر ابذاء الناس للانبياء مع قول اشعيا « لترفع البرية صوتها ، الديار التي سكنها قيثار » وقيثار هو ابن اسمعيل ، وقوله « لترقم سكان سلع » وسالع او سلع جبل على مقربة من « يثرب » من أشهر جبال العربية فلاح له أن قريشا ستضطر هذا النبي الى مفارقة بلده « مكة » فقال له « ليتني فيها جذعا - اي شابا - اذ يخرجك قومك »

ويبدو برهنة قليلة توفي ورقة . أما « خديجة » فاستمسكت بكلام هذا الرجل أيما استمسك وأضافت علومه الى ما قد عرفته هي بدلالة عقابها وتجربتها فأصبح إيمانها بنبوة بطلها ورسائله الى الناس اثبت من الرواسي